الحقانية

الحقانية
رواية
صموئيل أمين
الإسكندرية : حسناء للنشر

الطبعة الأولى : ٢٠١٦
الطبعة الثانية : ٢٠١٧
ISBN: 978 -977-6535-29-9
رقم الإيداع : ١٣٠٢٣ / ٢٠١٦

ديوى : ٨١٣
٢٠٠ ص ، ٢٠ سم

{ جميع الحقوق محفوظة © }

الإسكندرية ، ج . م . ع
٠١٠١٨٨٣١٣٦١
٠١٠٢٢٨٤٢٨٩٨
المدير العام : غادل أبو الأنوار

المراجعة اللغوية : غادل أبو الأنوار
الإخراج الفنى : أمير مصطفى

الحقانية

رواية

صموئيل أمين

حبيبة للنشر

هذه الرواية هي وحي الخيال، وكل أحداثها وشخصياتها لا تمت للحقيقة بصلة. كما أود أن أؤكد على احترامي البالغ لكل العاملين في حقل العدالة.

صموئيل أمين

إهداء

إلى الصديقين العزيزين

والأستاذين الكبيرين

الشاعر الكبير الأستاذ الدكتور محمد شحاتة

والكاتب الكبير الأستاذ محمد عبد الوارث

"التبصير على الدوام بمواطن القصور ومواضع الزلل في أجهزة العدالة تشريعية كانت أم قضائية أم تنفيذية، ضرورة لا بد منها، كما في كل جهاز، لتحسين مستوى الأداء الذي يشبع للمواطنين حاجة حيوية".

من مقدمة كتاب

(علم النفس القضائي للأستاذ الدكتور/ رمسيس بهنام)

جرجس

المحكمة قطعة من جهنم، هذا ما أدركه جرجس عوض بعد سنوات من تعيينه كاتباً بإحدى النيابات الجزئية بالإسكندرية، وقد كان تعيين جرجس في هذه الوظيفة مثار دهشة الكثيرين؛ ذلك أنه تخرج في كلية الزراعة، وكل خبرته تنحصر في النباتات وكيفية زراعتها والعناية بها، إلا أنه لم يكن بمقدوره رفض هذا التعيين بعد سنوات من التخرج لم يجد خلالها عملاً مناسباً، فرغم أنه مهندس زراعي إلا أنه عمل في محل بقالة فترة من الزمن كان يملكه أحد المحامين في منطقة العطارين، فشل في المحاماة فاتجه للبقالة، وانتقل منه إلى محل موبيليا ملك أولاد المقدس يونان، وهم أبخل خلق الله، وفي كل مرة كان يترك العمل غاضباً إما لسوء المعاملة من جانب صاحب العمل، وإما لضعف الدخل المتحصل عليه وطول ساعات العمل. والمحكمة من معالم المنشية بالإسكندرية، تقف شامخة أمام البحر كقلعة حصينة يلوذ بها كل مظلوم ضعيف ضد معاول الظالمين، وجنودها هم القضاة وأعضاء النيابة العامة وأعوانهم من الموظفين والمحضرين والحجاب.

للمحكمة مبنى ضخم وفاخر تنبهر به العيون بجدرانه الشاهقة، وأعمدته السامقة، والسلالم العالية التي تشعر وأنت تصعد عليها أنك في الطريق إلى السماء، فضلاً عن البهو الفسيح والنوافذ الضخمة الواسعة.

تحس وأنت داخل المحكمة أنك انتقلت إلى قلب أحد معابد الفراعنة القديمة بما يولد لديك إحساساً بالمهابة والرهبة.

ولا عجب في ذلك فالمحكمة يعود مبناها لزمان جميل، زمان يقدس الفنون، لا يصنع الأشياء في تعجل.. ولم يدر بخلد من شيدوا هذا التاريخ أنه سيأتي يوم تمتلئ فيه المحكمة بالقاذورات، والقطط الضالة بما تخرجه من فضلات.

لما جاء اليوم الذي قيل فيه لجرجس: مبروك سوف تعمل في النيابة. لم يجد بداً من الرد: الله يبارك فيكم.

عندما ذهب لاستلام العمل في أول يوم، قابله رئيس القلم الجنائي بنيابة شرق الإسكندرية الكلية الأستاذ حسان وهو كبير موظفي النيابة العامة، وكان قصير القامة يبدو المكر على ملامحه، وتعلو جبهته زبيبة ذات لون بني داكن. قال له جرجس: أنا الموظف الجديد .

نظر له رئيس القلم نظرة ازدراء ليس له ما يبرره وقال في برود: أهلاً.

سأله جرجس وهو ينظر للموظفين الآخرين الموجودين في الحجرة: أنا حشتغل إيه في النيابة وأنا خريج زراعة؟

ضحك رئيس القلم وقال: خريج زراعة قسم خراطيم ؟!

ضجت الحجرة بالضحك، وبلع جرجس الإهانة، وقال: أقصد أقول أنا معرفش حاجة عن شغل النيابة، ولا أعرف كلمة في القانون.

أجابه رئيس القلم الجنائي: بكرة حتتعلم كل شيء عن الجنايات والجنح. كلنا كنا زيك. أنا مثلاً دبلوم تجارة!!! وادِيني بقيت رئيس القلم الجنائي.

قال جرجس لنفسه : دبلوم تجارة؟!.... رئيسي في العمل مؤهل متوسط!

واستطرد رئيس القلم: انت حتشتغل هنا معنا في نيابة شرق الإسكندرية الكلية مؤقتاً لحين نقلك لإحدى النيابات الجزئية!

سأله جرجس: هي مش دي نيابة؟!

أجابه رئيس القلم: يا ابني هنا النيابة الكلية أما النيابات الجزئية فدي حاجة تانية.

سأله جرجس: وإيه الفرق ؟

أجابه في لهجة من يريد إنهاء الحوار: بكرة تعرف.

أخذه رئيس القلم إلى مكتب أحد الموظفين. وكان هذا الموظف سكرتير جلسة بمحكمة الجنح المستأنفة، وقال الرئيس منادياً هذا الموظف: يا سيد.

التفت سيد لمناديه وقال : أوامرك يا ريس.

قال رئيس القلم مشيراً لجرجس : جرجس زميلنا، موظف جديد .. علمه الشغل.

ابتسم سيد في سخرية وقال : أعلمه!.. طيب

ثم قال لجرجس: اجلس هنا على هذا الكرسي بجواري، ولاحظني وأنا بشتغل .

تركهما رئيس القلم لشأنهما، كان سيد- سكرتير الجلسة هذا- شاباً في بداية العقد الرابع من العمر. عرف منه جرجس أنه مُعين منذ ما يزيد عن خمس سنوات، وفهم منه الفرق بين النيابة الكلية والنيابة الجزئية، وأن الواسطة فقط هي التي يمكن أن تبقيه هنا في النيابة الكلية، أما المغضوب عليهم أو من لا واسطة لهم فهم فقط من يذهبون إلى النيابات الجزئية حيث ضغط العمل الرهيب وندرة الموظفين.

سأله جرجس: وانت كان عندك واسطة؟

أجابه سيد: بصراحة نعم.

وأكمل سيد: هنا في النيابة الكلية مفيش نوبتجيات مسائية .. ونقبض حوافز الـ (مائة في المائة) بانتظام كل شهر .. أما في النيابات الجزئية فيقبضونها مرة كل شهرين وحسب مزاج مدير النيابة.

سأله جرجس: وإيه الفرق بين مدير النيابة، وبين رئيس القلم الجنائي؟

نظر إليه سيد، وأجابه: مدير النيابة هو أقدم وكيل نيابة في الدائرة، أما رئيس القلم فهو كبير الموظفين، والسلطة الفعلية في يد وكلاء النيابة وعلى رأسهم المدير.

سكت جرجس، وأخذ يتأمل الحجرة التي كانت شديدة القذارة حيث تتراكم ملفات القضايا في كل ركن من أركانها وفوق الدواليب وداخلها، وتحت الكراسي والمكاتب فضلاً عن الأوراق المتناثرة هنا وهناك، وأغلب الظن أنها أجزاء من محاضر شرطة غير مرتبة ملقاة بغير نظام على أرضية الحجرة تدوسها الأقدام وتعلوها الأتربة. بعد قليل بدأ المحامون والمواطنون وأصحاب المصالح والمتقاضون في المجيء إلى الحجرة لسؤال سكرتير الجلسة سيد عن أمور تخص مصالحهم وأحوال قضاياهم، وازدحمت الحجرة كيوم الحشر.

لاحظ جرجس أن سيداً قد فتح درج مكتبه المواجه لبطنه وبدأ الناس يضعون فيه أوراق نقدية تبدأ من فئة الخمسة جنيهات حتى فئة المائتين. وفي البداية اعتقد جرجس أنها رسوم أو ضرائب أو أي شيء من هذا القبيل، إلا أنه سرعان ما اكتشف حقيقة هذه الأموال، وجفل مما رأى وانقبض قلبه.

كان جرجس متوسط الطول قمحي البشرة ذا شعر رأس خفيف، يرتدي منظاراً طبياً، يميل جسده إلى البدانة. في منتصف العقد الثالث من العمر تقريباً. وعُين مع جرجس سبعة آخرون هم محمد مصباح، علي جودة، بطرس أنور، محمود عبد التواب، عبدالله محمد، أحمد السيد وفتحي بركات، كلهم- بما فيهم جرجس- إما من أبناء العاملين، أو من معارف المستشارين. وظل الثمانية في النيابة الكلية منتظرين اليوم الذي يتحدد فيه التوزيع على النيابات الجزئية كما وُعِدوا، وكان سيد سكرتير الجلسة قد شرح لجرجس أن الموظف الذي يبدأ حياته في نيابة الرمل أو المنتزة هو إنسان لم ترضَ عنه أمه، وقد دعت عليه من قلبها. على عكس من يبدأ بإحدى النيابات الصغيرة كنيابة العطارين أو باب شرق أو المنشية؛ لذلك فقد تمنى أن يبعد عن نيابتي الرمل والمنتزة؛ وذلك لضخامة حجم العمل في هاتين

النيابتين مقارنة بباقي النيابات. وفي صباح أحد الأيام طلب رئيس القلم من جميع الموظفين الجدد التوجه إلى مكتب الأستاذة مديرة مكتب المحامي العام، وأيقن جرجس أنه سيعرف النيابة التي سيعمل بها. وهناك بدأت مديرة المكتب في إخبار كل واحد عن نيابته، وكلهم خرجوا، عدا جرجس و بطرس؛ لأنها لم تقل لهما كما فعلت مع زملائهما.

ثم قالت لهما: أنتو بقى حتشتغلوا في نيابة المنتزة الجزئية !.

انقبض قلب جرجس لسماعه ذلك، وقد تذكر تحذير سيد من نيابتي الرمل والمنتزة.

كانت مديرة المكتب هذه سيدة في أواسط العمر وجهها كئيب، مغرورة، وظلت تنظر لجرجس وبطرس نظرات غريبة تدل على احتقار ليس له ما يبرره.

ثم شرع جرجس وبطرس في مغادرة مكتبها فقالت لهما: استنوا.

فوقفا جرجس وبطرس، وقامت هي بإجراء مكالمة هاتفية من الهاتف الأرضي الموضوع على مكتبها، وكان على الجانب الآخر من المكالمة رئيس القلم الجنائي بنيابة المنتزة، وقالت له: السلام عليكم يا أستاذ غنيم.

جاءها الرد من الجانب الآخر، فقالت: أنا روحية من مكتب المحامي العام.. كنت عايزة أبلغك بأسماء الموظفين الجدد اللي حيشتغلوا عندك.

سكتت دقيقة ثم أجابت: عددهم اثنين. ثم سكتت دقيقة أخرى لتجيب ضاحكة: جرجس وبطرس!! ثم ضحكت مرة أخرى، وهي تضيف: معلش حنعمل إيه؟!

نظر جرجس لبطرس، وتبادلا ابتسامة من اعتادا هذا الأمر في أي مكان يذهبان إليه، وأنه ليس بالأمر الجديد رغم ادعاءات النظام أنه لا يوجد اضطهاد للأقباط.

أنهت روحية المكالمة، ونظرت لهما وقد استعادت الوجه القبيح، وقالت: بكرة إن شاء الله تروحوا لنيابة المنتزة لاستلام العمل، ووقع كلامها على مسامع جرجس كالصاعقة.

أحمد حداد

أنهى إمام مسجد القائد ابراهيم بمحطة الرمل صلاة العصر، وبدأ المصلون في الانصراف، ولم يبقَ في المسجد إلا رجل مُسن جاوز الستين من العمر، بدين أصلع وله شارب خفيف، نبتت لحيته قليلاً، ويرتدي حُلة صوفية سوداء، ورابطة عنق رمادية، وقال منادياً على أحد الشباب الذين يقفون على سلم المسجد استعداداً للرحيل :

- أحمد بك.

نظر أحمد للوراء، وكان أحمد هذا طويل القامة جداً، وكأنه النخلة السحوق، لا ينافسه في الطول إلا أحمد نظيف رئيس مجلس الوزراء الأسبق!، نحيف البنية ويضع على عينيه منظاراً طبياً، ويرتدي حُلة لا تقل فخامتها عن تلك التي يرتديها ذلك الرجل البدين، وقال مبتهجاً:

- عبد العظيم بك.

ذهب أحمد إلى حيث يقف عبد العظيم، وسلم عليه بحرارة، ودعاه عبد العظيم للجلوس معه داخل المسجد، ولما جلسا سأله عبد العظيم: إيه أخبارك يا أحمد بك؟ وبتشتغل فين دلوقتي؟

أجابه أحمد: أنا حالياً وكيل نيابة المنتزة.

- وإيه أخبار والدك حداد بك؟
- بخير حال. وإن كان يعاني من بعض المتاعب الصحية.
- ألف لا بأس عليه.

ثم قال عبد العظيم: أبوك حداد بك كان عنده حق لما خلاك تسيب الشرطة، وتشتغل بالنيابة. فالنيابة أفضل بالتأكيد.

قال أحمد مؤيداً: طبعاً.

ثم سأله عبد العظيم بك: وإيه أخبار النيابة الآن؟

أجابه أحمد: الحمد لله، العمل يجري على قدم وساق.

هز عبد العظيم رأسه نفياً، وقال: أنا ما أقصدش أخبار العمل، إنما أقصد أخبار أعضاء النيابة..

ثم مال نحو أحمد وقال: إيه رأيهم في اللي بيحصل اليومين دول؟ وهل يعجبهم نظام مبارك؟

فوجيء أحمد بالسؤال، وقال : الحقيقة ماعندناش وقت للحديث في الأمور السياسية.

قال عبد العظيم بك: اسمع يا أحمد .. نحن نريدك معنا!
اندهش أحمد، وقال: معاكم؟! مش فاهم.
قال عبد العظيم بصوت خفيض: نحن جماعة الإخوان المسلمين.
اتسعت عينا أحمد، وقال: الإخوان المسلمون .. إزاي؟ سيادتك رئيس محكمة جنايات وأنا وكيل نيابة.
ابتسم عبد العظيم، وقال مفسراً، ومحافظاً على صوته الخفيض: لا تقلق يا أحمد .. المستقبل لنا. نحن من سيتولى حكم البلاد طال الزمن أم قصر. والجماعة تريد تنشيط قسم القضاء لديها.
سأله أحمد في صوت لم يخلُ من دهشة: وهو فيه قضاة بجماعة الإخوان المسلمين؟!
أجابه عبد العظيم: بالتأكيد.
هل نسيت المستشار حسن الهضيبي – رحمه الله– والذي كان مرشداً للجماعة بعد استشهاد الشيخ حسن البنا.
إن تاريخ العلاقة بين الجماعة والسلطة القضائية في مصر تاريخ حافل. والآن يوجد أسماء لامعة وشهيرة، وربما لن تصدقني لو قلت لك أسماءهم.
بُهت أحمد مما يسمع، وسأل مشدوهاً: للدرجة دي؟!

أكمل عبد العظيم كلامه قائلاً: وليس القضاة فحسب بل إن معظم مؤسسات الدولة يوجد بها إخوان أيضاً، وكذلك الشرطة. إنها خطة يا أحمد .. خطة اسمها خطة التمكين، والخطة تجري من الآن، وسنصل لليوم الذي تنجح فيه الخطة.

أراد أحمد أن يقول شيئاً إلا أن عبد العظيم سبقه وقال : نحن نتابعك منذ فترة، ونعرف عنك تدينك، ونعرف استعدادك الفطري لطاعة رؤسائك، وهذه كلها مؤهلات جيدة لتكون عضواً فاعلاً في جماعة الإخوان المسلمين. وتأكد إنك لن تندم. فقط ثق في من يحدثك الآن، وأنت تعرف كم أحبك وأبغي صالحك.

قال أحمد : بس أمثالنا ما ينفعش يشتركوا في المظاهرات ورفع اللافتات. ضحك عبد العظيم وقال : ليس هذا هو الدور المطلوب من قسم القضاء بالجماعة إنما لنا دور آخر في إطار خطة التمكين.

سأله أحمد: وإيه الدور ده؟

قال عبد العظيم مجيباً: لا تتعجل يا أحمد، وستعرف كل شيء في حينه. لكن ثق أني صديق قديم لوالدك حداد بك، ولا أريد لك إلا الخير وكل الخير.

قال أحمد مبتسماً: أنا أثق بك طبعاً يا عبد العظيم بك بس...
قاطعه عبد العظيم : لا تدع مكاناً للتردد .. كن قوي الإيمان وتوكل على الله.
قال أحمد : على بركة الله.

أحمد بك حداد هو وكيل نيابة المنتزة، غريب الأطوار يعشق السرعة الجنونية في إجراء التحقيقات، فعندما يسأل المتهم سؤالاً لا يستغرق السؤال بإجابته مهما طالت عن دقيقة ونصف، ولذلك فإن الأستاذ صبحي ميخائيل سكرتيره يعاني من هذا الأمر، وقال له ذات مرة: يا باشا الكتابة بسرعة تؤدي إلى الأخطاء، والأخطاء ممكن تورديني لمحكمة الجنايات بتهمة التزوير. فكان يرد عليه: مفيش وقت يا صبحي عندنا شغل كتير.

وكانت أخطاء أحمد حداد الفنية كارثية، وتدل على ضعف حاد بمستواه القانوني. وقد فسر البعض ذلك – وقد يكونون على خطأ– أن هذا هو حال خريجي الشرطة من وكلاء النيابة على عكس خريجي كليات الحقوق أوالشريعة والقانون، وتفسير ذلك من وجهة نظر البعض أن طلبة كلية الشرطة يدرسون قشور القانون دون تعمق، تماماً مثل بدعة التعليم المفتوح، فضلاً عن

نسبة النجاح التي تقترب من المائة في المائة بما يشي بعدم جدية الدراسة. كما كان خط أحمد بك حداد لا يُقرأ بسهولة فهو أشبه بالطلاسم منه إلى اللغة العربية التي تعلمناها في المدارس. وكان أحمد مطيعاً لرؤسائه ولو خالفت أوامرهم المنطق حتى اشتهر بالجُبن الشديد. فكان إذا تلقى مكالمة هاتفية من أحد رؤساء النيابة الكلية أو من المحامي العام ينتفض كمن لسعته عقرب ويقول:

- أوامرك يا باشا يا معالي النائب ..... تمام يا فندم .. معاليك تؤمر بحاجة تانية،

وقد يكون الأمر الصادر إليه هو حبس متهم أو إخلاء سبيل آخر؛ ولذلك كان أحمد بك حداد من نوعية مريحة جداً، بل إنه ذات مرة تلقى أمراً بحفظ قضية؛ لأن المتهم فيها كان ابن شقيقة أحد المسؤولين الكبار في نظام مبارك، وأطاع الأمر، رغم أن التهمة كانت ثابتة عليه ثبوتاً يقينياً، ولا يوجد من هو أفضل من هذه النوعية لإجراء التفتيش الروتيني نادر الحدوث على أقسام الشرطة، والذي يُكتفَى فيه بتناول فنجان القهوة في مكتب المأمور، ومنذ أن صار أحمد بك حداد عضواً بجماعة الإخوان المسلمين تبدل حاله– ليس إلى الأفضل؛ لأن عيوبه سالفة الذكر بقيت كما هي– إنما أصبح يهتم بالمظاهرالدينية على حساب

الجوهر؛ فصار يهتم بالإمساك بمسبحة سوداء اللون أحضرها من المملكة العربية السعودية عندما ذهب لأداء فريضة الحج التي أصبح حريصاً على أدائها كل عام هو وأهل بيته رغم تكلفتها المرتفعة. وبدأت الزبيبة في النشوء والاتساع تكاد تملأ جبهته، أما أسلوبه في التعامل مع الآخرين فكان بعيداً كل البعد عن التدين الحقيقي مختزلاً الدين في العبادات والطقوس، وفي يوم من الأيام – وكان يوم جمعة– كان عليه الحضور ليلاً لمباشرة أعمال النيابة المسائية، وكان معه وكيل نيابة آخر، ولم يكن يدري اسم الموظف النوبتجي المكلف بالحضور. وبعد قليل حضر جرجس ومد يده ليصافح أحمد حداد وقال له : مساء الخير يا باشا.

رد عليه ببرود: أهلاً.. أنت الموظف الجديد؟

- أيوة.
- أنت الموظف النوبتجي؟
- أيوة.
- وحدك أم يوجد موظف آخر معك ؟
- الحقيقة لا أعرف.

تبدلت سحنته وقال غاضباً: لا تعرف؟.. من سيعرف إذن؟.. أنا؟!

ثم أكمل قائلاً: أكيد الموظف اللي معاك مزوغ وإنت بتداري عليه، دفعلك كام؟! تعرف؟ لو ما قلتش الحقيقة، أنا حموتك!

فوجيء جرجس بهذا الأسلوب العنيف، ولم يتحمله، ولكنه تظاهر بالهدوء بعد أن حذره زملاؤه القدامى من الرد على وكلاء النيابة والقضاة حيث قالوا له: "مهما وكيل النيابة يعمل فيك تسكت احنا مش قدهم". لكم ترك جرجس وظائف كثيرة في الماضي مفضلاً البطالة بسبب سوء معاملة أرباب الأعمال؛ وذلك لاعتزازه الشديد بنفسه؛ ولأنه لا يخشى في الحق لومة لائم، ولا يتجنب الحرج، فهو لم يتعود ارتداء ملابس الذل والهوان، وها هو الآن يجد نفسه مضطراً لقبول هذا الأمر البشع. وياله من ضغط نفسي شديد. ويعتقد الباشوات أنهم خلقوا من طينة مختلفة، أنبياء مرسلين، أنصاف آلهة، أو قل آلهة، لا يمكن رفع الشكاوى ضدهم وإلا انقلب الحق باطلاً والباطل حقاً. مما جعلهم فوق القانون يطبقونه على الناس، ولا يقدر أحد أن يطبقه عليهم فلماذا لا يشتمون؟! و لماذا لا يزدرون مرؤوسيهم، و يهدرون حقوقهم؟!

ثم قال جرجس لأحمد حداد بأسلوب حاول جاهداً جعله هادئاً: أنا وقعت بالعلم على مواعيد النوبتجيات اللي تخصني، ولا أعرف حاجة عن نوبتجيات زملائي، وما باخدش حاجة من حد.

سكت أحمد حداد، ثم عاد وسأل جرجس: هل تعرف كيف تُكْتَب التحقيقات؟ أم ستقرفني؟

لم يدع لجرجس فرصة للإجابة، وإنما قال له: مأمور القسم أكد لي أن هناك عشرات المحاضر في الطريق إلى هنا بينها خمسة محاضر مخدرات .. قل لي حنعمل إيه؟

ثم أخرج هاتفه المحمول، وطلب رقم رئيس النيابة، وقال بأسلوب أقرب إلى أسلوب امرأة تعرضت لحادث اغتصاب: – الحقني يا باشا عندي محاضر كتير ومفيش سكرتير معايا .. إلا اللي اسمه جرجس وده ما بيعرفش يحقق!!

أنهى المكالمة، وقد غلى الدم في عروق جرجس، ووجد نفسه يقول مندفعاً: من قال لحضرتك ذلك .. ستجدني إن شاء الله عند حسن ظنك.. هل جربتني؟

نظر له أحمد من فوق لتحت، وقال: يعني بتعرف تشتغل تحقيقات؟.

أجابه جرجس في تحدٍ: أيوة .. محمود بك علمني شغل التحقيق وفهمته، و أقدر الآن أكتب أي تحقيق.

و لم يجد أحمد حداد مفراً من العمل مع جرجس الذي أجبره على ذلك، وقد كان أحمد بك يتمنى تأجيل التحقيقات لليوم التالي متذرعاً بعدم وجود سكرتير!!

شيوخ المنصر

لم يكن جرجس يعلم لماذا يعامله أحمد بك حداد هذه المعاملة؟ فعلى الرغم من أنه سكرتير محمود بك وكيل النيابة، وقليلاً ما يتعامل مع أحمد حداد إلا أنه يشعر بأن هذا الأخير يحتقره، وقد أفضى بهذا الأمر للأستاذ صبحي سكرتير أحمد حداد فقال له: "سيبك منه ولا ترد عليه". كان صبحي موظفاً قديماً في النيابة، وكان منتمياً لنوعية من المسيحيين السلبيين رافعي شعار: (احنا غلابة .. خلينا ماشيين جنب الحيط). ولم يكن لصبحي ثمة اهتمامات من أي نوع؛ فهو لا يذهب إلا إلى ثلاثة أماكن: البيت والنيابة- بحكم عمله- والكنيسة. ولمن لا يعرف فإن صبحي هو أمين الخدمة بإحدى الكنائس الكبرى بالإسكندرية، وهو هادئ الطباع، ولا أحد يعرف حقيقة هذا الهدوء أهو نقاء قديس أم خبث حكيم؟ ولم يكن طبع صبحي يعجب جرجس؛ فهذا الأخير عنيف جداً في الحق، ويثور لكرامته، صحيح أنه حاول جاهداً التظاهر بالبرود أمام بعض الإساءات من بعض وكلاء النيابة مؤثراً السلامة، ومتجنباً لأي

رد فعل لا تُحمد عقباه. إلا أن كتمان الغيظ هذا كان له بالغ التأثيرعلى صحته النفسية. أما بطرس أنور زميل جرجس والذي عُين معه في نفس اليوم فقد كان هادىء الأعصاب جداً، ويحب الضحك، وبطرس وجرجس كلاهما ينتميان للجيل الذي ولد في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين الميلادي؛ ذلك الجيل الذي ولد في عز تفشي الطائفية والتعصب الديني، ومنذ نعومة أظافرهما عرفا السؤال التقليدي في المدرسة " انت مسلم ولا مسيحي؟! ". وقد تبدت الطائفية في أسماء مواليد هذا الجيل فانتشرت الأسماء الدينية من نوعية (جرجس) و (بطرس) و(مينا) وغيرها، واختفت أسماء الحقبة الليبرالية من نوعية (نبيل) و(أمين) و(كمال) وغيرها. بعد أن أصبح الناس في زمن التعصب يحرصون على إبراز الهوية الدينية. اختفت وذبلت الهوية الوطنية وبات الكل حريصاً على إثبات وجوده من باب تحدي السلطة المتجاهلة المستخفة المضطهِدة الظالمة، فكانت أسماء القديسين رد فعل طبيعي للمسيحيين لم ينته حتى الآن. وعندما كان بطرس وجرجس يلتقيان على مقهى "صابر" المواجه للمحكمة كان هذا الأخير يشكو له، فيقول له بطرس بعد أن يجذب نفساً عميقاً من النارجيلة: بص يا أخويا يا جرجس هو

أحمد حداد شكله متعصب. ثم يجذب نفساً آخر من النارجيلة ويقول: بس ما يقدرش يعمل حاجة مع أخوك.

- ولحد امتى هاستحمل؟
- رُد عليه.
- أنا ممكن أرد عليه بس ممكن يعمل لي مذكرة إهانة عضو سلطة قضائية وأروح في أبو نكلة.
- انت مش بتقول إنك شجاع وما بيهمكش حد؟!
- ده صحيح، بس ظروفي دلوقتي غير زمان. أمي دلوقتي ملهاش حد غيري بعد وفاة أبويا، يعني ما ينفعش أتحبس. لكن زمان كنت باقول الحق في وش أتخن تخين، وياما طلعت في مظاهرات ضد النظام سنة ٢٠٠٤ و٢٠٠٥

" سرح جرجس متذكراً تلك الأيام التي كان فيها حراً طليقاً من كل قيد لا تفوته مظاهرة من تلك التي كانت تنظمها حركة (كفاية)، والشعارات التي كانوا يرفعونها وأشهرها (لا للتمديد لا للتوريث)...تذكر كيف كانوا وقتها يقفون بأعداد قليلة لا تتجاوز في أفضل الأحوال بضع عشرات معرضين مستقبلهم للخطر، يقفون ولا يفصل بينهم وبين أفراد المباحث وأفراد أمن الدولة إلا رمية حجر و..."

قطع أفكاره صوت زميله بطرس:

- يعني أبوك ما افتكرش يموت غير قبل ما تتعين في النيابة؟! على كل حال بكرة ربك يعدلها.

من موظفي النيابة أيضاً الأستاذ جابر عثمان سكرتير الجلسة وهو يبلغ من العمر خمسة وخمسين عاماً، ممتلئ البنية، قصير القامة، أكرش ، له شعر خفيف أشيب، أسمر البشرة، غزير الشارب، لا تفارق السيجارة شفتيه حتى عندما يتكلم حتى باتت السيجارة جزءاً من وجهه، وقد كان شيخاً للمنصر فهو لا يتورع عن فعل أي شيء من أجل عيون الجنيه. ومن ذلك مثلاً ما كان يفعله بقضايا المباني. وقضايا المباني هذه لمن لا يعرف هي القضايا التي تتهم فيها النيابة العامة شخصاً ما بالبناء بدون ترخيص، أو هدم بناء بدون ترخيص، أو تعديلات بناء بدون ترخيص، أو استئناف أعمال سبق وقفها بالطريق الإداري وهكذا. فقد كان القاضي يحكم فيها بالإدانة ثم يقوم الأستاذ جابر بمسح منطوق الحكم الذي يكتبه القاضي بالقلم الرصاص على ملف القضية، ويكتب هو منطوق حكم بالبراءة على خلاف الحقيقة، ثم يقوم بتزوير توقيع القاضي على المنطوق الجديد المزور ثم يرفق بالأوراق (نموذج مطبوع) لأسباب البراءة ويضع عليها

توقيعاً مزوراً للقاضي. وعندما يعطي القضايا المضروبة لموظفة الجدول لتسجيل الأحكام تقوم الأخيرة بحسن نية بكتابة الحكم المضروب في الجدول وهو البراءة. فيقوم المتهم بعد ذلك أو محاميه باستلام شهادة من واقع الجدول ثابت بها حكم البراءة غير الحقيقي، حينئذ يقوم جابر بقبض المعلوم، وبعد إعادة القضية إليه من الجدول يقوم بإعادة الحال إلى ما كان عليه بأن يزيل التزوير، ويعيد الحكم الأصلي كما كان وكأن تزويراً لم يحدث. والحق أن جابراً كان بارعاً في تقليد إمضاء القاضي ولا ينافسه في ذلك إلا (قدري) صديق (أدهم صبري) بطل روايات رجل المستحيل الشهير، لكن ليس معنى ذلك أن جابراً كان شراً مطلقاً، فكثيراً ما كان يساعد زملاءه إذا وقع أي منهم في مشكلة داخل المحكمة أو خارجها، وكثيرون كانوا يعتبرونه عنواناً للرجولة رغم معرفتهم بموبقاته الأخرى.

أما الأستاذ فايز ميشيل فهو سكرتير جلسة آخر طويل القامة، نحيف البنية، قمحي البشرة، شعره كثيف، حليق الوجه، يبلغ من العمر سبعة وخمسين عاماً، وهو أيضاً شيخ منصر ولكنه أكثر غباءً. فقد قام فايز بعمل أجندتين للجلسة لا أجندة واحدة كما هو متبع، وأجندة الجلسة لمن لا يعرفها هي عبارة عن دفتر يسجل

فيه كاتب الجلسة القضايا المنظورة مرتبة حسب الرول، ويكتب أسفل كل قضية الحكم أو القرار الذي أصدره القاضي، ولأنه شيخ منصر ويعبد الجنيه من دون الله فلم يكتف سيادته بأجندة واحدة كزملائه كُتَّاب الجلسات، وإنما اصطنع أجندة أخرى مزيفة، يكتب فيها ما يحلو له من أحكام وقرارات، ويخصصها للعرض على المحامين وأصحاب المصالح والحاجات، ويقول مشيراً على إحدى القضايا المدونة في أجندته المزيفة مخاطباً أحد المحامين: "بص .. شوف .. آهي واخدة براءة!! مش قلتلك .. بس إنت ما صدقتنيش"، فيقوم المحامي بمنحه الرشوة التي لا تزيد عن عشرين جنيهاً في أحسن الأحوال – ويا للنتانة– أما الأجندة الأصلية الحقيقية المنضبطة فهي الأجندة التي يعرضها فايز على السادة المفتشين، وعلى السيد الأستاذ رئيس النيابة فينال بها رضاء رؤسائه ويحصل على تقدير كفاءة ممتاز أو جيد جداً في نهاية العام.

وأراد فايز أن يعلو بسقف طموحاته فما عادت العشرون جنيهاً تكفي متطلبات الحياة، أراد أن ينتقل إلى خانة الآلاف حتى يتسنى له شراء سيارة جديدة كتلك التي يركبها زملاؤه شيوخ المنصر الكبار، و"المعلمين" العتاولة أمثال جابر عثمان ونعيم عبد المسيح وشكري شاكر وغيرهم. ولأنه غبي أصبح يبدل

أحكام الإدانة في قضايا المباني وقضايا الأقراص المخدرة (قبل التعديل التشريعي الأخير الذي حولها من جنحة إلى جناية) أصبح يبدلها بأحكام براءة على طريقة جابر عثمان، ولا يكتفي بصدور شهادة من واقع الجدول ثم يعيد الأمر لما كان عليه كما يفعل جابر، وإنما يتمادى في الفساد ويعرض القضية على رئيس النيابة كما لو كانت البراءة حقيقية للنظر في أمر استئنافها خلال عشرة أيام من تاريخ الحكم. ولا يعني هذا أن كل كُتَّاب الجلسات بهذا الفساد والتدني الأخلاقي فالغالبية العظمى منهم، والحمد لله مشهود لهم بنظافة اليد، والسمعة الطيبة، والتفاني في العمل.

وفي أحد الأيام دخل فايز يعرض قضايا البراءات على رئيس النيابة (المضروب منها والحقيقي)، فقال له رئيس النيابة شحاتة بك: إيه يا أستاذ فايز قضايا البراءات دي كلها؟

أجابه فايز، وابتسامة بلهاء تعلو وجهه: دي يا فندم قضايا مباني وقضايا أقراص مخدرة محكوم فيها بالبراءة.

كان فايز هذه المرة قد زور الأجندة الأصلية أيضاً حتى يتطابق ما بها مع ما هو معروض على رئيس النيابة.

واستطاع تقليد توقيع القاضي على الأجندة أيضاً.

سأله رئيس النيابة والشك يكاد يقتله: اسمه إيه القاضي اللي انت شغال معاه؟

- اسمه رياض بك فرغلي.
- غريب هذا القاضي يبالغ في البراءات!
- القاضي وشأنه يا باشا.

كرر رئيس النيابة عبارة فايز الأخيرة: القاضي وشأنه يا باشا.

ثم نظر إليه وقال: سيب القضايا شوية على مكتبي، وروح دلوقتي شوف شغلك.

أطاعه فايز، وخرج تاركاً إياه، وقام شحاتة رئيس النيابة بالاتصال على هاتفه المحمول بالقاضي رياض بك فرغلي.

- آلو أهلاً رياض بك .
- أهلاً.. أهلاً شحاتة بك عاش من سمع صوتك يا راجل .

وبعد السلامات والتحيات والكلام المعتاد، قال شحاتة بك رئيس النيابة: ياريت معاليك تشرفني في مكتبي ناخد القهوة سوا لأن هناك موضوعًا مهمًا أريد أخذ رأي سعادتك فيه.

وبعد حوالي نصف الساعة أتى رياض بك فرغلي القاضي إلى مكتب شحاتة بك رئيس النيابة. وبعد السلامات جلسا سوياً على

أريكة مقابلة للمكتب. وقال شحاتة بك: فيه سؤال محيرني، وعايز اسألك عنه.

- سؤال ايه؟
- معاليك بتدي قضايا المباني والأقراص المخدرة كلها براءات؟! طبعاً معاليك حر .. لكن في النهاية هاكون مضطر استأنف الكمية الهائلة دي من القضايا.

أجابه القاضي رياض بك: مين قال كدة؟! إطلاقاً.. أنا متعود أحبس في القضايا دي !!!!

ارتفع حاجبا شحاتة بك من فرط الدهشة، وقال مشيراً إلى القضايا: آهي القضايا كلها على مكتبي عليها توقيع معاليك.

كان يوماً أسود في تاريخ نيابة المنتزة الجزئية، فبعد أن انكشف المستور، وانقشع الظلام وبدده النور. نزل إلى النيابة المحامي العام شخصياً للتحقيق مع فايز ميشيل، وبالمرة للتفتيش على أعمال النيابة كلها، وجاء معه مجموعة من المفتشين الإداريين المتعطشين لدماء الموظفين إما لنيل رضاء المحامي العام، وإما لابتزاز الموظفين أنفسهم. مثل المفتش سامي، وهو مفتش إداري مُرتشٍ يعيش متطفلاً على كُتَّاب الجلسات الذين يعرف كل شيء عنهم ولا يفضحهم مقابل الارتشاء. والرشوة عند سامي تبدأ من كيلو الشنبري أو البتلو وقد تصل إلى الحشيش! وفي هذا اليوم

وقفت النيابة على قدم واحدة وأصاب أعضاءها وموظفيها التبول اللا إرادي من جراء الرعب، والبعض الآخر أُصيب بإسهال مزمن. أما فايز ميشيل فقد كان في موقف لا يحسد عليه، حيث ارتعدت فرائصه، و ارتعشت مفاصله، و أقر بجرائمه. و انتهى الأمر بحبسه خمسة عشر يوماً احتياطياً على ذمة التحقيق.

الرائد حسام

كان حبس فايز ميشيل حديث وزارة العدل في الإسكندرية، فلا يكاد يوجد موظف واحد بالنيابات والمحاكم لم يسمع بحكايته، حتى صار أحدوثة تلوكها الألسن، واختلفت الآراء، فالبعض يقول إنه يستحق ما حدث له، والبعض الآخر يقول إنه بريء وربنا على الظالم والمفتري. وداخل نيابة المنتزة أيضاً تبودلت الأحاديث حول هذا الأمر، فقال جابر عثمان معلقاً على هذا الأمر: أنا ياما نصحته .. وقلت له الحرام آخرته وحشة .. لكن مفيش فايدة .. لا حياة لمن تنادي!

والغريب أن المحامي العام الذي جاء للتفتيش على أعمال النيابة والموظفين لم يجد ما يؤاخذ عليه سائر شيوخ المنصر الآخرين وما أكثرهم، وهذا ما جعل جابر يتحدث معلقاً على موضوع فايز ميشيل بمنتهى الثقة والقوة. وكان من يسمع جابر يقول في قرارة نفسه: " يا بن الكلب .. يعني انت اللي مش حرامي".

كل هذه الأحداث الجسام أثرت سلبياً على الموظفين الجدد من الناحية النفسية، ومنهم جرجس الذي صار ينفخ في الزبادي؛ خشية الوقوع في حبائل الحبس الاحتياطي الذي صار سيفاً مسلطاً على رقاب الموظفين؛ فجرجس من ناحية قليل الخبرة بأمور العمل، وهناك الكثير من الأشياء لم يتعلمها، ولم يتدرب عليها، ويخشى من الخطأ فيها، ومن ناحية أخرى هو ليس متأكداً من كون فايز ميشيل مظلوماً من عدمه، فهو يسمع الرأيين، ولا يعرف من المُحِق ومن الكاذب. ألا يحتمل أن يكون حبس فايز راجعاً لكونه مسيحياً؟! وأن الكثيرين يتربصون به هو أيضاً، وبغيره من الموظفين المسيحيين؟! خاصة أنه يسمع من حين لآخر بعض الإساءات الطائفية من نوعية " مع أنه مسيحي بس كويس "، و " خسارتك يا بني في النار " وغيرهما.

ورغم أن الحبس الاحتياطي ليس عقوبة ولا حتى تمهيداً لها- كما يقضي صحيح القانون؛ لأن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، و ثبوت الإدانة لا يكون إلا بحكم محكمة- رغم ذلك تحول الحبس الاحتياطي على يد بعض وكلاء النيابة إلى عقوبة يهددون بها موظفيهم إذا أخطأ أحدهم خطأً بسيطاً، وازدادت هذه النغمة النشاز النكراء بعد حبس فايز. وكل يوم يمر على جرجس

يكره فيه العمل أكثر، ولكن ماذا يفعل؟ هل يستقيل؟! ولكن كيف يترك وظيفةً حكومية بمرتب معقول جداً، وظيفة يحلم بها الكثيرون، وظيفة وجدها بعد أكثر من ثلاث سنوات من البطالة. وأيضاً ما العمل الذي يمكن أن يجده خارج المحكمة؟.. إن مؤهله الدراسي – بكالوريوس زراعة– صار غير مطلوب الآن في مصر .. مصر التي هي أقدم دولة زراعية في التاريخ !! ولم يكن يتخيل يوماً أن ينتهي به الأمر إلى وظيفة كاتب نيابة .. بعد أربع سنوات دراسة في كلية الزراعة ينتقل بقدرة قادر من (النباتات) إلى (النيابات) !! ..

وفيما هو يفكر فيما آلت إليه أحواله إذا بفكرة تقفز إلى رأسه. فكرة أرسلها الله سبحانه وتعالى إليه لعل فيها الخلاص.

فإذا كانت كلية الزراعة قد فقدت قيمتها، ولم يستفد منها، وإذا كان القدر قد قذف به إلى النيابات كاتباً للتحقيقات، فلماذا لا يدرس القانون بل ويتفوق فيه؟؛ لهذا قرر أن ينتسب لكلية الحقوق جامعة الإسكندرية؛ وذلك حتى لا يعيره وكيل نيابة بجهله بالقانون، وحتى يجد لنفسه مخرجاً من هذا السجن الذي وُضع فيه بأن يخلق لنفسه فرصة الاشتغال بالمحاماة مستقبلاً. ويالها من فكرة .. وقرر أن يشرع فوراً في تنفيذها.

داخل تنظيم جماعة الإخوان المسلمين يوجد رتب ودرجات تماماً كما هو الحال في الشرطة والجيش؛ فأقل رتبة هي (محب) ثم (مؤيد) ثم (مؤيد بشدة) ثم (منتسب) ثم (عامل) وأخيراً (نقيب)، ولا يوجد فترة زمنية معينة بين الدرجة والدرجة التي تليها، فقد يقضي العضو عمره كله في رتبة (محب)، وقد يرتقي سريعاً وفي وقت قياسي يصل فيه إلى رتبة (منتسب) أو (عامل) أو (نقيب)، فالعبرة بقوة الإيمان حسبما يعتقدون. وقد استطاع أحمد حداد وكيل النائب العام بعد أقل من سنة من تاريخ انضمامه للإخوان أن يصل إلى رتبة (مؤيد بشدة)، وقد اشترت له الجماعة هاتفاً محمولاً جديداً يمكن وضع خطين به، وقد كانت هذه النوعية من الهواتف المحمولة في ذلك الوقت حديثة ومرتفعة الثمن جداً. وذلك ليحتفظ بخط جديد لا يعرف رقمه إلا قائد أسرته في الجماعة فقط، وقد أمرته الجماعة بأن يحتفظ بهذا الرقم سرياً حتى لأقرب الناس إليه.

وقد كان قائد أسرته في الجماعة هو عبد العظيم بك فتح الباب رئيس محكمة الجنايات الإخواني، وهو نفسه الشخص الذي جنده وضمه لهذا التنظيم. ولم يفت عبد العظيم بك أن يهدي أحمد بك نسخة من رسائل حسن البنا التي لا يستغنى عنها إخواني واحد، ونسخة من لائحة الإخوان المسلمين حتى

يتسنى له معرفة الهيكل التنظيمي للجماعة، واختصاصات المرشد، ومكتب الإرشاد، ومجلس شورى الإخوان وغيرها من مؤسسات تنظيم الإخوان الإرهابي .

كان قسم القضاء في الجماعة من الأقسام ذات الأهمية التي يوليها المرشد العام شخصياً اهتماماً خاصاً. وأخذ هذا القسم يتسع يوماً بعد يوم .. ويتسع .. ويتسع .. ويتسع. حتى بدأ القلق يدب في أوصال جهاز أمن الدولة بمنطقة الأزاريطة بالإسكندرية.

وداخل الجهاز استدعى العميد حسين الرائد حسام، ودار بينهما الحديث التالي :-

حسين: إيه معلوماتك عن قسم القضاء في الجماعة؟

حسام: عبد العظيم فتح الباب رئيس الجنايات ده معروف بالنسبة لنا.

حسين: فيه معلومات من مصادرنا جوة الجماعة أن فيه قضاة ووكلاء نيابة انضموا خلال السنة اللي فاتت.. مهمتك تعرف أسماءهم وتبلغني بيها.

حسام : تمام يا باشا.

حسين : عايز الأسماء على مكتبي خلال أسبوع.

اتصل الرائد حسام ضابط أمن الدولة بمصادره السرية داخل الجماعة، والآخرين الذين تربطهم بأعضاء الجماعة صلات صداقة قوية، وطلب منهم العمل بهمة ونشاط خلال الساعات القادمة للوصول لأسماء هؤلاء الذين انضموا حديثاً لتنظيم جماعة الإخوان المسلمين من وكلاء النيابة والقضاة. ولم يفت حسام بالطبع الاستعانة بمصادره داخل القضاء أيضاً فليس سراً أن بعض القضاة ووكلاء النيابة يتعاونون مع أمن الدولة أيضاً. وربما لا يدري الكثيرون أن حسام هو ابن شقيقة أحد وزراء الداخلية السابقين الذين توفاهم الله. ورث عن والده رجل الأعمال الشهير عبد الرحمن زغلول ملايين الجنيهات بخلاف العقارات، لم يشأ أن يعمل كأشقائه بالتجارة التي ورثوها عن أبيهم، وآثر الالتحاق بكلية الشرطة كخاله وزير الداخلية الذي كان يعتبره المثل الأعلى له منذ الطفولة. تزوج حسام من ابنة أحد كبار اللواءات بالداخلية الذي سهل له الالتحاق بجهاز مباحث أمن الدولة ذلك الجهاز الذي يحكم مصر فعلياً منذ يوليو ١٩٥٢. وبعد ثلاثة أيام من تنشيط المصادر السرية استطاع الرائد حسام الوقوف على الكثير من الأسماء، والتي ما إن قرأها حتى علت وجهه ابتسامة ساخرة.

وداخل نادي سبورتنج جلس أحمد حداد يقرأ كتاباً ما في الكافيتريا، أغلب الظن أنه كتاب سيد قطب الشهير (معالم في الطريق)، واقترب منه الرائد حسام، وقال له: صباح الخير.

التفت إليه أحمد مندهشاً من هذا الغريب المتطفل، وقال: صباح النور.

ابتسم حسام وقال ساخراً: أم أقول السلام عليكم؟

عقد أحمد حاجبيه، وقال : ماذا تقصد؟

جلس حسام على المقعد المقابل بدون استئذان، وقال بعد أن أخرج من جيبه بطاقة هويته الشرطية: الرائد حسام من أمن الدولة.

ازدرد أحمد لعابه، وقال محاولاً التظاهر باللا مبالاة : أهلاً وسهلاً.

سأله حسام مباشرة: إيه أخبار عبد العظيم بك؟

ارتبك أحمد، وقال: عبد العظيم بك مين؟

اتسعت ابتسامة حسام، وقال : مفيش داعي نلف وندور على بعض يا أحمد بك إحنا عارفين كل حاجة.

ثم أضاف في برود: انت بقالك حوالي سنة جوة الإخوان وده مش حلو علشانك. انت لسة صغير ومفيش داعي تدمر مستقبلك بإيدك.

قال أحمد في عصبية: أنت ازاي تكلمني بالأسلوب ده؟ أنا ما بتهددش. أنت نسيت نفسك يا حضرة الظابط أنا وكيل نيابة.
ضحك حسام، وقال: أنا بقى أمن دولة، وأنا اللي بكلمة مني خليتك وكيل نيابة، وبكلمة مني ممكن أخليك تنضف المحكمة!
ثم تبدلت لهجته، وقال في جدية غاضبة: فوق لنفسك يا بيه.
ألجمت كلماته أحمد بك، وقال بعد دقيقة من الصمت: طلباتك؟
عاد حسام إلى بروده، وقال: تعجبني ... اسمع أنا ممكن أعتبر المقابلة دي ما حصلتش، وأنا ما شفتكش ولا أنت شفتني لكن بشرط إنك تجيبلي أخبار الجماعة.
قال أحمد متوتراً: أنت عايزني ...
قاطعه حسام قائلاً: أيوة عايزك تشتغل معانا، وده أحسن لك!
فكر أحمد قليلاً وقال : وإيه المقابل؟
ضحك حسام، وقال : أنا ما كنتش متصور إنك بالغباء ده .. مقابل؟؟!

استشاط أحمد غضباً إلا أنه لم ينبس ببنت شفة، وقال حسام مضيفاً: اسمع، اللي بيبقى معانا بيستفيد وبيترقى. عندك مثلاً نيابة المنتزة اللي أنت بتشتغل فيها. خلال شهور حيصدر قرار من النائب العام بقسمتها إلى نيابتين، نيابة أول المنتزة ونيابة ثان المنتزة. لو انت قدرت تثبت إخلاصك لينا ممكن نخليك

مدير نيابة منهم، وأظن أقدميتك تسمح بكدة، ودي مسألة في إيدينا.

كان أحمد لضعف شخصيته، وانخفاض ثقته بنفسه يحلم بالمناصب، ويعشق الرئاسة، وكم حلم أن يكون مديراً لأي نيابة حتى يتحكم في أعضائها وموظفيها. حتى يروي ظمأه الشهواني إلى السلطة، وحتى يرضي طموحه المريض. ولكن هل يخون الجماعة التي أقسم على المصحف الشريف وعلى المسدس أن يكون ولاؤه لمرشدها العام ولقياداتها؟ إنه ما زال يذكرصيغة القسم كما لو كان هذا الأمر بالأمس القريب :

" **أعاهد الله على التمسك بأحكام الإسلام والجهاد في سبيله، والقيام بشروط عضوية جماعة الإخوان المسلمين وواجباتها، والسمع والطاعة لقياداتها في المنشط والمكره في غير معصية ما استطعت إلى ذلك سبيلاً وأبايع على ذلك، والله على ما أقول وكيل** "

فهل يتحول مبدأ السمع والطاعة إلى مبدأ السمع والنطاعة؟!

أخرجه حسام من أفكاره، وقال : وافتكر إن أي خيانة معناها نهايتك. إحنا ما حدش يقدر يلعب معانا.. فاهم؟

قال أحمد: ادِيني فرصة أفكر.

قال حسام في نفاذ صبر: تفكر؟! هو أنت فاكرني بقولك بلاها نادية خد سوسو... ده أمر يا بك.

ثم قام تاركا أحمد غارقاً في مزيج من المشاعر المختلطة.

الزيارة

جلس عدد من موظفي نيابة المنتزة على المقهى المقابل للمحكمة، والذي يسمى مقهى "صابر"، وهو مقهى فسيح عتيق، ترتفع جدرانه كحال المباني القديمة تسمع بين جنباته قرقرة النارجيلة، وصوت ارتطام النرد على رقعة الطاولة، والنادل يصرخ بطلبات الزبائن المعتادين المعروفين له بالاسم، وزبائن المقهى أغلبهم من موظفي المحاكم والنيابات، والمحامين وأرباب القضايا. وبوسعك إذا جلست يوماً على هذا المقهى أن تسمع دروساً في القوانين المدنية والجنائية وغيرها، وقد تسمع أحكاماً ومبادئ لمحكمة النقض، ولا أحد يعرف مدى صحتها أو دقتها، والمجادلات طبعاً لا تنتهي. وتجد في هذا المقهى عقوداً تُكتب، واتفاقات تُبرم. وتجد بعض المحامين في انتظار متهم يجود به الزمان؛ ليحضروا معه التحقيق أمام النيابة في أي قضية مقابل مبالغ ضئيلة.

وفي جانب المقهى يوجد رجل أمامه آلة كاتبة عتيقة لا يمكن لأحد أن يتصور وجودها في القرن الحادي والعشرين يستخدمها في كتابة الطلبات التي يقدمها الناس لرؤساء النيابات والمحاكم، وتبييض العقود مقابل قروش زهيدة يجودون بها.

وهناك سيدة في أواسط العمر تقف داخل المقهى أيضاً أمام ماكينة للتصوير الضوئي تدر لها دخلاً معقولاً إلى جانب بيعها لبعض الأدوات المكتبية التي تشتريها بالجملة من سوق المنشية في حدود رأسمالها المحدود، وتقف معها ابنتها الوحيدة شريفة الحاصلة على دبلوم التجارة. ولا أحد يعرف ما هي النسبة التي يحصل عليها صاحب المقهى من هذا الرجل وهذه السيدة مقابل عملهما داخل المقهى.

أما النادل فهو يعرف أغلب زبائن المقهى، وهو صديق لهم، ولا مانع لديه من أن يشارك في أي حوار يتناهى إلى سمعه بكلمة أو جملة، وقد تكون هذه الكلمة " إيفيهاً " خادشاً للحياء، فيضج المقهى بالضحك.

وفي ركن من أركان المقهى تجد بعض الرجال جالسين في انتظار رزقهم الذي قد يأتي وقد لا يأتي، والذي يتمثل في المثول أمام أي قاضٍ للشهادة في أي قضية مقابل ما يجود به المحامي

أو صاحب القضية فهو شاهد للإيجار، وكلما استطالت لحية الشاهد كلما ارتفعت أجرته!!

ويجول في المقهى بعض الباعة الجائلين ببضائعهم التي تتمثل في نظارات الشمس وساعات اليد والمناديل والأقلام الجافة. ومن الأشياء المعتادة في هذا المقهى وجود عائلات من القطط الضالة تلهو هنا وهناك في كل مكان، فلا تندهش لو وجدتَ قطاً يشاركك في كوب الماء الموضوع على المنضدة مع فنجان القهوة.

أما السيدة الواقفة أمام ماكينة التصوير داخل المقهى، فقد رأت ابنتها شريفة تمسك بحقيبة يدها، وتستعد للانصراف فسألتها:

– على فين يا بنت؟

– الأستاذ عبد الرحيم سلام المحامي طالب سكرتيرة لمكتبه، ورايحة أقدم في الوظيفة دي.

– ومين حيساعدني؟ حرام عليك أنا كبرت، ومالیش غيرك.

– يا امة ما احنا اتكلمنا في الحكاية دي قبل كدة. عن إذنك.

وتركتها متجهة لمكتب عبد الرحيم سلام المحامي بالمنشية. فما كان من أمها إلا أن قالت:

– مفيش فايدة فيكي!

وجاء النادل إلي موظفي نيابة المنتزة الجالسين داخل المقهى، وقال: البهوات تطلب ايه؟ فطلب جرجس شاياً، وطلب بطرس قهوة زيادة وحجر معسل، في حين طلب كل من جابر وشكري قهوة مضبوطة وحجري معسل، فذهب النادل إلى الداخل منادياً قائلاً: وعندك واحد شاي واتنين بسكر وواحدة كراميل وتلاتة معسل!!

وبدأ بطرس الكلام بقوله: مش برضه واجب نروح نزور فايز في محبسه؟

قال جرجس معلقاً: يا بني الزيارة دي مسألة صعبة، ومحتاجة إذن من النيابة وبلاوي.

أجابه بطرس: إذن من النيابة إيه يا بني؟ والنبي تسكت!!.. احنا شغالين في النيابة يعني احنا النيابة!

قال شكري مؤيداً: فعلاً حبايبنا في القسم كتير، وممكن يخلونا نقعد معاه في أي وقت وزي ما احنا عايزين.

كما قال جابر مضيفاً: أنا برضه رأيي إن مسألة الإذن دي مش مهمة قوي.

في هذه اللحظة نزلت الطلبات على المنضدة، وبعد أول نفس جذبه بطرس من النارجيلة قال: شيشة زبالة!.

كما قال جابر: والقهوة بن فاتح مش غامق وميت مرة أقول له على الحكاية دي!

وقال شكري: والقهوة جايبهالي من غير وش!

ضحك جرجس، وقال: كل مرة بتقولوا كدة وبتيجوا تقعدوا هنا برضه.

قال بطرس في ضجر: خللونا في المهم هنزور فايز امتى؟.

كانت عيناها تكادان تنطقان من فرط جمالهما واتساعهما، وشعرها الأسود الفاحم الحريري اللامع ينسدل مسترسلاً في نعومة على كتفيها، ووجهها كان مشرقاً كألف ألف شمس، ولا يمكنُ أنْ تقعَ العينُ على أتمَ منها حسناً، فغر جرجس فاه عندما رآها تجلس إلى جوار والدها فايز ميشيل أثناء الزيارة. تلك الزيارة التي اتفق نفر من موظفي نيابة المنتزة على القيام بها، إلا أن جابر عثمان لم يذهب معهم بدعوى الانشغال. مؤكداً لهم أنه سوف يزوره في وقت لاحق. وحقيقة الأمر أنه تنصل من واجب الزيارة بسبب التشاؤم من الذهاب إلى التخشيبة!، واقتصرت الزيارة على جرجس وبطرس وشكري. وكان في استقبالهم لدى الوصول أمين شرطة صديق لهم يدعى سعد، والذي أرشدهم لمكان فايز، وجلسوا معه في حجرة مكتب سيادة معاون القسم؛

حيث رأوه هناك يجلس مع زوجته وابنته الوحيدة مادلين اللتين تصادف وجودهما في نفس اليوم لزيارة عائلهما.

ما إن رآهم فايز حتى قام حاضناً ومُقبلاً ومُرحباً، وعرفهم إلى زوجته وابنته، تلك الابنة التي لفتت نظر جرجس إليها منذ أن رآها، وأحس بنبضات قلبه تخفق بشدة. هذه هي فتاة أحلامه التي طالما تمناها، ورسم صورتها في خياله. ولما رآها تجلس في هدوء بجوار والدها المحبوس احتياطياً أحس أن الله أرسل إليه ملاكاً يعوضه عن سنوات الشقاء التي تلت تخرجه في كلية الزراعة وإلى الآن. وسألوا فايز عن صحته وأحواله في القسم فطمأنهم أنه يلقى معاملة حسنة، والفضل في ذلك يعود بعد الله سبحانه وتعالى إلى السيد الملازم فؤاد بك ضابط منوب القسم الذي أعد له حجرة نظيفة لتكون حجزاً بدلاً من الحجز التقليدي (الذي يضم عتاة الإجرام والذي لا تزيد مساحته عن ستة أمتار مربعة ويضم ما لا يقل عن خمسين متهمًا) !، و يشاركه في هذا الحجز النظيف طبيبان حبستهما النيابة العامة على ذمة قضية إهمال طبي أفضى إلى موت المريض.

كان جابر عثمان قد كُلِفَ من قِبَل السيد رئيس النيابة بالإشراف على أعمال الجلسات التي كان فايز ميشيل سكرتيراً

لها بشكل مؤقت لحين تعيين سكرتير جلسة آخر، إذ كان فايز موقوفاً عن العمل لحين الفصل في قضيته.
وفي أثناء الزيارة قال فايز: يا ريت يا جماعة تخللوا بالكوا من شغلي لغاية ما أطلع، انتم عارفين جابر مش محل ثقة.
قال بطرس: ولا يكون عندك فكرة كأنك موجود وأكتر.
وقال جرجس: طبعاً ده احنا نخدمك بعينينا انت بس تؤمر.
قالها، وعيناه شاخصتان على وجه مادلين التي لم يغب عنها ذلك، فتخضب وجهها بحمرة الخجل.

خرج جرجس بعد الزيارة إلى الشارع متجهاً إلى منزله، والسعادة تغمر كيانه، ولم يشعر بنفسه هل كان يمشي على قدميه أم كان طائراً؟ هل كانت قدماه تحملانه أم برزت له أجنحة ليحلق بها في سماء الإسكندرية؟ وطفق يدندن بأغنية عبد الحليم حافظ " كان يوم حبك أجمل صدفة لما قابلتك مرة صدفة يا اللي جمالك أجمل صدفة "

فعلى الرغم من طول المسافة من القسم، حيث محبس فايز ميشيل، إلى منزله، حيث يسكن، إلا أنه قطع تلك المسافة مترجلاً، ولم يشعر بأي تعب أو إرهاق. إن الإرهاق عند جرجس

يتوقف على حالته النفسية؛ فإذا كان سعيداً لا يشعر به مهما بذل من جهد والعكس.

كان يسير بسرعة يود أن يعود سريعاً للقاء أمه في المنزل ليفضي لها عن الكنز الذي اكتشفه، عن الجوهرة التي وجدها، عن الواحة التي ستروي ظمأه بعد مسيرة السنين في الصحراء القاحلة، عن مادلين بنت زميله فايز ميشيل.

وما إن وصل إلى المنزل وقابل أمه حتى قالت له:

– ايه سر السعادة اللي باينة عليك يا جرجس؟ هذه الابتسامة لم أرها على وجهك منذ فترة طويلة.

– أنا نويت الزواج يا أمي.

– صحيح؟ ومين هي؟

– مادلين بنت زميلي في النيابة فايز ميشيل.

تبدلت لهجة أمه وقالت في انزعاج، وفي دهشة ممزوجة بغضب: المحبوس؟!

قال لها في حدة لم يعهدها عند التحدث مع أمه: يا أمي، فايز مظلوم، وده مجرد حبس احتياطي.

قالت في غضب: عايز تتجوز بنت أبوها رد سجون؟!

أجابها في غضب مماثل: يا أمي أرجوكي، فايز هتظهر براءته في المحكمة، وهيعود لعمله. دي مسألة وقت.

ثم استطرد: ولنفرض إنه مجرم، مزور، ومرتشي زي ما بيقولوا . إيه ذنب بنته؟

قالت له في غير اقتناع، وعدم التفات إلى منطقه: وانت ترضى إن حماك و جد أولادك يكون سجيناً؟ ايه تقول للناس؟ ايه ...

قاطعها ابنها بقوله: أنا لا يهمني حد، و هاتجوزها.

قالت له: لو عملت كدة فلا انت ابني، ولا أعرفك بعد النهاردة.

حوار على مقهى "صابر"

قضى جرجس ليلته حزيناً، يسيطر الهم عليه ويشعر أن جبلاً قد انهدم فوق صدره، وظل يفكر في أحواله، وهو مستلقٍ على سريره مصالباً ذراعيه وراء رأسه .. فلماذا تصر الحياة أن تكشف له عن وجهها القبيح؟

لماذا كلما وجد الماء فإذا به مجرد سراب؟

" عندما عُين في النيابة انهالت عليه تهاني الأقارب والأصدقاء، فإذا به مُلقى في نار لا تطفأ، ودود لا يموت!

والآن، وبعد أن وجد فتاة أحلامه فإذا بأمه تجهض الأمر برمته لذنب لا دخل للفتاة فيه. إن أمه لا تعلم أن كل موظفي النيابات والمحاكم معرضون للحبس لأقل هفوة.

هو نفسه قد يُحبس في أي وقت.

إنه في عمله هذا كمن يسير حافي القدمين على الأسلاك الشائكة أو على الأشواك، وعليه في نفس الوقت أن يعبر الطريق

دون نقطة دم واحدة. ماذا تعرف أم جرجس عما يقاسيه موظفو النيابة، هل تدري شيئاً عن المُهْل الذي يتجرعوه يومياً؟، و...."

وفيما هو يفكر في كل هذه الأمور إذا بجرس هاتفه المحمول يرتفع فيقطع أفكاره المسترسلة و...

– آلو .. أهلاً محمود بك.

– أهلاً يا جرجس .. أنا آسف إني بكلمك في وقت متأخر زي ده.

– لا أبداً يا باشا.. أنا لسة صاحي.

– تعالالي دلوقتي على النيابة.. أنا عارف إن الوقت متأخر.. بس فيه قضية قتل عمد جديدة. وهنسهر نحقق لبكرة الصبح.

– تمام يا باشا .. ساعة زمن وأكون عندك.

ثم تردد قليلاً، وقال: – هو مش المفروض فيه موظف نوبتجي؟

أجابه محمود بك: بسلامته ما جاش لغاية دلوقتي، ومش معايا نمرته!

"هو ده كل اللي حصل ".

كانت هذه هي العبارة التي أنهى بها أحمد بك حداد حواره مع عبد العظيم بك فتح الباب رئيس محكمة الجنايات الإخواني في منزله حول لقائه مع الرائد حسام، فابتسم عبد العظيم، وقال :

– وما رأيك أنت يا أحمد؟

قال أحمد متردداً: طبعاً .. طبعاً .. أنا معاكو، ومش ممكن أخون العهد مع الجماعة.

ضحك عبد العظيم، وقال : بلاش نضحك على بعض يا أحمد .. انت من جواك نفسك تبقى مدير نيابة. وخايف على مستقبلك، في الوقت نفسه مكسوف مني.

تفجرت الدهشة في صدر أحمد، فكيف استطاع عبد العظيم أن يسبر أغواره هكذا، ويقرأ ما بداخل عقله وقلبه كما لو كان كتاباً مفتوحاً .

ووجد أحمد نفسه يقول في عصبية: حضرتك بتشك في ولائي للجماعة.

أجابه عبد العظيم: لا أبداً .. أنا فاهم كويس إنك بين نارين، ومش عارف تعمل إيه..

ثم مال نحوه وقال : أنا هاريحك يا أحمد.

تطلع إليه أحمد في تساؤل، فقال عبد العظيم: من مصلحة الجماعة أن يكون أحد أعضائها مديراً لنيابة مهمة كنيابة المنتزة.

– ولكنه يطلب مني الخيانة؟

– لن تخون بإذن الله .. ولكن ستسرب له ما نريد نحن أن يتسرب، هل فهمت؟

– هل تقصد..

قاطعه عبد العظيم: – نعم يا أحمد .. اقبل العرض، نحن نثق بك، وقد حان الوقت للعمل الجاد.

ثم استطرد قائلاً: أهم حاجة إنك لا تتصل بي باستخدام الهواتف؛ لأنها بكل تأكيد ستكون مراقبة.

سأله أحمد: وازاي هنتواصل بعد كدة؟

أجابه عبد العظيم: سيكون بيننا رسول وسيط يحمل الرسائل المكتوبة مني إليك والعكس، وهو شخص موثوق به.

عاد أحمد وسأله: و مين هو؟ أجابه: ستعرفه في الوقت المناسب.

" حيث وصلنا قبيل افتتاح هذا المحضر بقليل إلى مشرحة كوم الدكة، والتقينا بعامل المشرحة المدعو / ..... والذي يحمل بطاقة رقم قومي / ..... والذي أرشدنا لجثة المجني عليه المتوفى إلى رحمة مولاه المدعو /..... وبمناظرتنا لجثة المذكور تبين أنها جثة لشاب في منتصف العقد الثالث من العمر، قمحي البشرة، كثيف الشعر أسوده، والجثة مسجاة على ظهرها على تروللي حديدي، يرتدي من الملابس الافرنجية تي شيرت أبيض اللون ملطخ بالدماء متسخ، أسفله بنطال جينز أزرق اللون ملطخ بالدماء أيضاً.

هذا وبمناظرتنا عموم جثة المجني عليه عدا ما يستر عورته تبين وجود أثر لطلق ناري في العنق من الناحية اليمنى بفتحة دخول، وتوجد فتحة خروج من الرقبة من الناحية اليسرى، ولم يتبين لنا وجود ثمة إصابات أخرى، ورأينا ترك ما خفي علينا للطبيب الشرعي .....".

كان ما سبق جزءاً من محضر مناظرة الجثة في قضية القتل التي استدعى محمود بك وكيل النيابة جرجس من أجلها ليلاً لمباشرة التحقيق معه فيها. ولم يجد جرجس غضاضة في الحضور لسراي النيابة امتثالاً لأمر رئيسه وكيل النيابة رغم أنه ليس الموظف النوبتجي المكلف بالحضور، وكان من الممكن أن يفعل كغيره من الموظفين ولا يذهب متسبباً في إشعال النيابة بالتسبب في مجازاة هذا الموظف المهمل، إلا أنه لم يشأ ذلك؛ لأنه يحب محمود بك، ويحترمه، ويعتبره مثله الأعلى، ويعتبره أنموذج للخلق الرفيع الحميد وللجدية في العمل. كما أن جرجس يحب الإخلاص في العمل، ولا يمل منه.

وليس هذا فحسب بل إن محمود بك رغم مركزه الرفيع متواضع جداً، عمه الأستاذ المستشار الدكتور حبيب شوقي كان واحداً من كبار القضاة على مستوى الجمهورية، إلى جانب أنه من فطاحل القانون المدني؛ له العديد من المؤلفات والدراسات

والأبحاث حتى لُقِبَ بأنه خليفة السنهوري باشا. لا يعاب عليه سوى انتماؤه للحزب الوطني الديمقراطي – عقب خروجه على المعاش من القضاء – ونفاقه لنظام مبارك، رُشح لهذه الأسباب أكثر من مرة لحمل حقيبة وزارية مهمة جداً هي حقيبة البيئة، لكن سوء حظه حال دون ذلك حيث اكتشف متخذ القرار في آخر لحظة أنه مسلم !!!، نعود لمحمود بك لنقول إنه دائم المزاح (في غير أوقات العمل)، كريم إلى أقصى حد فهو يترك وهبةً كبيرةً لخلف ماسح الأحذية بالمحكمة، وهو شاب صغير السن، أسمر البشرة، قصير القامة، نحيف البنية، هاجر والداه الفقيران من محافظة سوهاج منذ عشرين عاماً أو يزيد، واستقرا في الإسكندرية بمنطقة دنَّا العشوائية بحثاً عن الرزق، وأنجبا سبعة من الأبناء ثالثهم خلف الذي يجلس طيلة اليوم في المحكمة منكباً على صندوقه وأدواته، يمسح ويلمع أحذية القضاة، والمستشارين، وأعضاء النيابة العامة، والموظفين، والمحامين، وأمناء، وأفراد الشرطة. وخلف شاب مكافح فرغم ظروفه الصعبة إلا أنه أصر على الالتحاق بالثانوي العام، وهو الآن في الصف الثالث الثانوي القسم الأدبي. ويوماً ما سأله محمود بك بإعجاب عما إذا كان يرغب في الالتحاق بالجامعة من عدمه، فأجاب بأنه يتمنى دخول كلية الحقوق جامعة الإسكندرية، فازداد إعجاب

محمود بك به جداً وكذلك جرجس. وبعد أن خرج خلف من حجرة مكتب محمود بك ممسكاً بيديه حذاء الأخير لتلميعه. قال جرجس لمحمود بك: تفتكر ممكن خلف يبقى وكيل نيابة؟!

كان جرجس يعرف الإجابة طبعاً إلا أنه قصد بسؤاله أن يبدأ مناقشة سياسية مع محمود بك، فنظر إليه محمود بك وأجابه:

– أنت فاكر نفسك في فرنسا ولا في ألمانيا؟!، يا حبيبي أنت في مصر، حكومتك حكومة عنصرية طبقية، لا يمكن تسمح لخلف وأمثاله أنهم يبقوا قضاة. حتى لو خلف طلع الأول على الدفعة!!.

– معاك حق يا باشا.

جمع مقهى "صابر" بطرس وجرجس بعد نهاية يوم العمل، كما اعتادا منذ بدء تعارفهما، يبث كل منهما للآخر أوجاعه ومتاعبه، أحزانه وأشجانه. كان كل منهما يعتبر الآخر كأخيه تماماً. صحيح أنهما كثيراً ما يختلفان، وتصل أحياناً حدة الخلاف إلى المشادات الكلامية. إلا أنهما سرعان ما يعودان إلى سابق عهدهما.

وفي هذا اليوم فرغا من العمل حوالي الثالثة عصراً، وكانت نوبتجيتهما المسائية في السادسة مساءً؛ لذا اقترح جرجس أن

يتناولا وجبة الغذاء، ويشربا الشاي والقهوة في المنشية في المقهى المواجه للمحكمة. وقد صادف هذا الاقتراح قبولاً لدى بطرس لبعد منزليهما عن المنشية حيث يسكن الأخير في شارع خليل حمادة بسيدي بشر بحري، في حين يسكن جرجس في المندرة فلا وقت للذهاب ثم العودة للمنشية قبل السادسة.

وفيما هما يتناولان وجبة الغداء الصيامي المكونة من سندويتشات الفول والكشري تطرق حديثهما إلى فايز ميشيل وابنته.

وقال بطرس: بصراحة يا جرجس.. ومن غير زعل .. أمك عندها حق!

فوجئ جرجس بهذا الرأي، وقال : إيه اللي انت بتقوله ده؟.. عندها حق في إيه إن شاء الله ؟!

قال بطرس: بص يا جرجس .. إنت لو فاكر إن فايز مظلوم.. تبقى غلطان وستين غلطان، ومش معنى إنه مسيحي إنه يبقى ملاك من السما وندافع عنه، فايز فعلاً فاسد وحرامي ومرتشي ومزور و ...

قاطعه جرجس في عصبية: أنا مش بادافع عن فايز لمجرد إنه مسيحي، أنا مش جاهل وغبي للدرجة دي. كل الحكاية إني مش

متأكد إن كان بريء وللا لأ؟ ومع ذلك يا أخي حتى لو كان فايز وسخ وابن كلب، إيه ذنب مادلين في ده كله؟

قال بطرس: واحدة أبوها حبسجي عايزها تبقى إيه؟

قال جرجس في عصبية: أنا لا أسمح إنك تقول عليها كلمة واحدة.

قال بطرس مبتسماً: طب إهدا .. وكل الكشري قبل ما يبرد.

ثم استطرد ساخراً: بقى فيه حد يا ناس يتعرف على حبيبته في التخشيبة؟!

قال جرجس في غضب: اسمع يا بطرس.. وحياة الصيام اللي احنا فيه.. والعيد اللي داخلين عليه. لتسمع وتشوف بنفسك إن مادلين دي هتبقى خطيبتي.

المرتزقة

من عجائب المحكمة وغرائبها، المرتزقة، وهم فئة من البشر يساعدون موظفي المحكمة وموظفي النيابة في مباشرة الأعمال الإدارية دون أن يكون هناك قرار بتعيينهم! وإذا كان المقابل الذي يحصل عليه الموظف لقاء عمله هو المرتب والحوافز، فإن المقابل الذي يحصل عليه هؤلاء المرتزقة هو اليوميات التي يلقيها لهم الموظفون من حصيلة الرشاوى !!!!.

وكلما زادت أعباء الموظف كلما استعان بعدد من المرتزقة؛ ولذلك نجد أن معظم كُتَّاب الجلسات يستعينون بهؤلاء. فجابر عثمان مثلاً يعمل تحت يديه أربعة من المرتزقة الذين أتى بهم من قارعة الطريق حتى (يسترزقوا ويستنفعوا وآهو كله بثوابه)، ليس هذا فحسب بل إنه أيضاً منحهم مقاعد ومكاتب بجواره في حجرته، في الوقت الذي لا يجد فيه عدد من الموظفين مكاناً لائقاً لهم يباشرون فيه أعمالهم!!

والأدهى والأغرب أن هذا يحدث تحت سمع وبصر رؤساء المحاكم والنيابات، ولا يحرك أحد ساكناً، وكأن ما يحدث أمر طبيعي.

وعندما عُين جرجس، وقذف به القدر إلى نيابة المنتزة كان يعتقد أنهم موظفون؛ إذ رآهم يمسكون ملفات القضايا، ويصورونها للمحامين حسب الطلب دون اعتداد بالطريق الذي رسمته التعليمات للحصول على صورة من القضية، وكل محضر له سعر حسب حجمه، وحسب جسامة الجريمة موضوع المحضر!!

ويقوم المرتزقة بمساعدة كاتب الجلسة الذي يعملون تحت يديه في أعمال الجلسة المختلفة مثل تحضير القضايا، وكتابة الديباجة الخاصة بمحاضر الجلسات، واعداد أجندة الجلسة، واعداد كشف الجلسة، وكتابة أسباب الأحكام حتى يوقع عليها القاضي بعد ذلك (دون أن يراها ويراجعها غالباً)، وارسال القضايا المستأنفة إلى النيابة الكلية تمهيداً لتسليمها لسكرتير محكمة الاستئناف، وغير ذلك من أعمال الجلسات.

إلا أن جرجس سرعان ما أدرك حقيقة هؤلاء، من أنهم ليسوا موظفين، وأن جابر عثمان يشرف عليهم كما يشرف المعلم على صبيانه كما هو الحال في أي عصابة محترمة!

وذات يوم، وبينما كان جرجس جالساً مع جابر في حجرة الأخير بعد انصراف الكافة، سأله سؤالاً مباشراً: ليه تستعين بأشخاص مش موظفين؟ وازاي تطمئن لهم؟

ضحك جابر، وأشعل سيجارة وقال: انت لسة صغير يا جرجس، ومش فاهم الدنيا، الشباب دول غلابة. فيه منهم ليسانسات وبكالوريوسات .. بس ماعندهمش واسطة عشان يتعينوا هنا.. طبعاً أنت عارف أن سلو بلدنا اليومين دول بفضل نظام مبارك أن الشباب اللي زي حضرتك يلزمهم واسطة عشان يتعينوا. لكن على أيامنا كان التعيين حاجة عادية جداً.

ثم مال نحوه، وقال مبتسماً ابتسامة صفراء: مش برضه البيه متعين هنا بواسطة؟

" سكت جرجس ولم يرد على سؤال جابر؛ لأنه يدرك أنه محق تماماً، لقد أصاب كبد الحقيقة، وها هو يعود بذاكرته إلى الوراء إلى الماضي القريب منذ ما يزيد قليلاً على العام يوم أن زفت له أمه أن تعيينه في المحكمة صار قاب قوسين أو أدنى، وعندما تساءل في دهشة :إزاي؟ أنا خريج زراعة، ولا توجد علاقة بين المحكمة وبين مجال تخصصي.

أجابته أمه: مش أحسن ما تقعد في البيت، وتمد إيدك وتاخد مصروفك مني؟ وأنت شحط طول بعرض.

سألها: طب إزاي هاتعين؟

أجابته: زميلتي في الشغل مدام خديجة أخوها مستشار كبير قوي، وهو هيعملك واسطة!

قال في غضب: واسطة؟ لكن ده ضد مبادئي، أنا اللي بانزل المظاهرات والوقفات الاحتجاجية ضد حسني مبارك و...

قاطعته، وقالت، وقد نفد صبرها: بقولك إيه، المبادئ مش هتأكلك عيش، والكارت اللي تكسب بيه العب بيه. أنت جيبك دلوقتي مافيهوش خمسة جنيه على بعض.

أدرك لحظتها أنها محقة، وأنه لا سبيل للخروج من أزمة بطالته إلا أن يعطي ضميره إجازة. و..."

في هذه اللحظة قطع جابر استرساله في الذكريات بقوله: يعمل إيه بقى الشاب اللي ما عندوش واسطة؟، والحكومة مش ناوية تغير سياستها.

ثم سكت برهة نفث خلالها دخان سيجارته، وقال مضيفاً: شوف ما يقدرش سكرتير الجلسة لوحده يقوم بكل الشغل المطلوب منه. خصوصاً في دايرة وسخة زي دايرة المنتزة اللي احنا بنشتغل فيها. الرول بتاع المحكمة عندي في الجلسة الواحدة لا يقل عن خمسمائة قضية. لازم الحكومة تعين للجلسة الواحدة أربع موظفين على الأقل .

قال جرجس ساخراً: وطبعاً الحكومة ما بتعينش حد غير بواسطة؛ عشان كدة أنت بتساهم في حل أزمة البطالة !.

قال جابر في زهو يدعو للسخرية: الحمد لله، وربنا يقدرنا دايماً على فعل الخير.

ثم أشار إلى أكوام القضايا التي تكتظ بها حجرته القذرة، وقال : شايف القضايا دي كلها.

نظر جرجس إلى حيث يشير جابر، وأكمل الأخير: القضايا دي لا يقل عددها عن ثلاثين ألف قضية، وكلها عهدتي ولو ورقة واحدة ضاعت أخش السجن. وأنت جاي تقول لي جايب ناس يشتغلوا معاك من الباطن ليه؟ صحيح اللي ما يعرفش يقول عدس!

قال جرجس: لكن لو حد من العيال دي باع محضر، وقبض ثمنه. انت اللي حتروح في داهية لأنك انت اللي في وش المدفع. وهو ما حدش يعرفه.

ابتسم جابر، وقال : لا من الناحية دي اطمن. العيال دي أنا اللي مربيها، ولحم كتافهم من خيري، وما حدش منهم يقدر يخونني، طب دا ساعات بسيب الواد حمدي اللي شغال معايا يخش يعرض كشف الجلسة على رئيس النيابة بنفسه!

ثم قال مضيفاً: صحيح أحياناً بيغلطوا غلطات تودي في داهية. لكن كل الغلطات بتتداوى في الوقت المناسب. أهم حاجة عينك تبقى مفنجلة دايماً.

سأله جرجس: وازاي الغلطات بتتداوى؟

ضحك جابر وهو يجيبه: ده موضوع يطول شرحه. وأكيد الأيام حتعلمك.

ثم سكت قليلاً، وجذب نفساً من سيجارته، وقال مضيفاً: فيه حاجة تانية أنت ما تعرفهاش . الدفاتر والأجندات اللي بنكتب فيها الشغل باقوم بشرائها بالشيء الفلاني وبادفع فلوسها للأستاذ حسان رئيس القلم الجنائي الكلي رغم أنها واردة من الوزارة ببلاش. ولو ما عملتش كدة هاستنى شهر أو شهرين عشان ألاقي دفتر أكتب فيه، وطبعاً ضغط العمل لا يسمح.

تركه جرجس، وغادر المحكمة، وسار على قدميه في اتجاه سوق الأدوات المكتبية الكبير في المنشية لشراء بعض الأقلام، ورزمة ورق فلوسكاب للتحقيقات على نفقته الخاصة؛ ذلك أن الوزارة لا توفر هذه الأشياء لموظفيها بالقدر الكافي بما يفي بحاجة العمل. وهو طبعاً لا يستطيع أن يفعل مثل جابر عثمان، ويدفع ثمن تلك الأشياء لحسان رئيس قلم نيابة شرق الكلية الذي يبيع رزمة الورق الواحدة بعشرات الجنيهات على الأقل.

وفيما هو سائر في شارع محمد كُريم بالمنشية– ذلك الشارع الذي يشقه ترام الأنفوشي الأصفر طولياً، والذي يفصل المحكمة

عن المقاهي والمكتبات المواجهة للمحكمة– ظل يفكر في كل كلمة قالها جابر عثمان فإذا كان هو يرفض مبدأ الأخير، ولا يبيع ذمته مثلما يفعل الكثيرون إلا أنه أيضاً وافق على مبدأ الوساطة، ولولا ذلك لما صار موظفاً بالنيابة. فما الفرق بين الرشوة التي يرفضها وبين الوساطة؟ كلتاهما صورة للفساد، فيا عزيزي كلنا فاسدون. هو أيضاً لا يختلف كثيراً عن المرتزقة الذين تمتلئ بهم المحاكم والنيابات. فالجميع اضطر للجوء إلى حيلة ما حتى يستطيع العيش في هذه الظروف الخانقة التي فرضها النظام السياسي. يضاف إلى ذلك أن هؤلاء المرتزقة هم شباب أولاد ناس محترمين، صحيح أنه يرفض وجودهم في قلب المحكمة إلا أنه يتعاطف معهم، ويعتبرهم من ضحايا الاستبداد السياسي. أكمل طريقه، وفيما هو يفكر في هذه الأحوال إذا به يرى أمامه أجمل ما يمكن أن يراه في هذه اللحظة، ومد يده ليسلم عليها، وقالت له في رقة وعذوبة:

- أهلاً يا أستاذ جرجس.

قال في سعادة : – أهلاً مادلين.

الأستاذ غنيم

يبدأ العمل في المحكمة في حوالي الساعة الثامنة والنصف صباحاً، حيث يبدأ الموظفون في الوفود، والتوقيع بأسمائهم في دفاتر الحضور والانصراف. وكعادة المصالح والمرافق الحكومية المصرية فإن الرئيس المباشر للموظفين لا يعنيه من أمرهم إلا أن يوقعوا في دفتر الحضور والانصراف، وبعد ذلك لا يهم أي شيء. فقد تجد الموظف بعد ذلك على المقهى المواجه للمحكمة يتناول إفطاره مع كوب الشاي الساخن تاركاً مكتبه وعمله، وآخر تسأل عنه فتأتي الإجابة أنه في دورة المياه، وثالث يصلي صلاة الضُحى ثم صلاة الظهر ويعود بعد ذلك للتوقيع بالانصراف، ولا يلقي بالاً للعمل إلا إذا كانت هناك رشوة في الطريق إلى جيبه أو إلى درج مكتبه. والرشوة هنا لا يسمونها رشوة، فهم يعرفون الآيات والأحاديث الشريفة التي تحرمها لذلك يسمونها(قهوة) أو (سجائر)، وقد تجد موظفاً ممسكاً بجريدة منهمكاً في حل الكلمات المتقاطعة، ولا يعير المواطن صاحب المصلحة أي اهتمام، فإذا سأله الأخير عن استخراج شهادة من واقع الجدول،

أو صورة رسمية من الحكم تجده ينظر لزميله الجالس بجواره يسأله بكل برود: تلاتة رأسي عاصمة الدنمارك؟ أو قد يسأله: اتنين أفقي فيلم بطولة عزت العلايلي؟، ويستشيط المواطن صاحب المصلحة غضباً حين يجد الموظف يهاتف زوجته، ويسألها: هي مراة أبو لهب كان اسمها إيه؟!

أما الموظفات فهن مشغولات بأحاديث النميمة؛ فهذه تشكو من حماتها، وأخرى مستاءة من تصرفات شقيقة زوجها، يفعلن ذلك أثناء العمل لا قبله ولا بعده؛ لذلك لا تعجب ولا تندهش إذا كانت الدفاتر والجداول زاخرة بالأخطاء الجسيمة، وثالثة تشكو من أن ابنها لا يذاكر رغم أنه في الثانوية العامة، ورابعة تشكو من ارتفاع سعر البامية!!

وكل ذلك لا يثير حفيظة الأستاذ غنيم رئيس القلم الجنائي بنيابة المنتزة الجزئية طالما أن دفتر الحضور والانصراف مُستوفَى بإمضاءات الموظفين، وهكذا صار دفتر الحضور والانصراف هو كتاب الحكومة المقدس. وإذا تأخر أحد الموظفين يتصل به غنيم، ويسأله عن سبب التأخير فإذا اعتذر الموظف عن المجيء متذرعاً بمرضه، تجده يقول له في التليفون المحمول في سخرية واستهزاء:

– سلامتك ألف سلامة، تعالى وأنا أعملك كمادات مية وسخة!

ثم يسمح له بالإجازة في النهاية بعد وصلة تسميم البدن!

والأستاذ غنيم أمضى في النيابات زهاء الثلاثين عاماً، وسيحال إلى المعاش بعد أقل من سنة، ودائماً ما يفخر بأن معظم وكلاء النيابة الذين عمل معهم كاتباً منذ عصر السادات قد صاروا اليوم من كبار رؤساء المحاكم ونواباً لرئيس محكمة النقض، وأنهم مازالوا يتصلون به، ويسألون عن صحته. وهو رجل بدين، قصير القامة، حليق الوجه، قمحي البشرة، ذو شعر أشيب خفيف يرتدي منظاراً طبياً. ولا يغير بذلته ذات الجاكت الزيتي، والقميص الأبيض، والبنطال الكحلي إلا لماماً، وعندما سأل بعض الموظفين عن السبب الحقيقي في ذلك جاءت الإجابة من بعض الخبثاء:

– المسألة دي لزوم ادعاء الفقر حتى لا يشك فيه أحد أنه مرتشٍ!!

وكثيراً ما تجد بجوار غنيم في حجرته أجمل المحاميات الشابات الصغيرات يتبادل معهن أطراف الحديث، ويضحك معهن مستغلاً بقايا وسامة قديمة، وتنتهي المصلحة التي أتت من أجلها المحامى دون عناء الوقوف في طوابير أمام مكاتب الموظفين، فجميع الشهادات، والصور الرسمية، وغيرها تصل

إليهن في حجرة الأستاذ غنيم. مقابل ابتسامة أو نظرة حنان تلقيها له هذه المحامى أو تلك.

ويمارس غنيم ابتزازاً مفضوحاً على كُتَّاب الجلسات من أمثال جابر عثمان، ونعيم عبد المسيح، وشكري شاكر، ورمضان كريم وغيرهم فيتقاضى منهم إتاوات مقابل عدم حضورهم النوبتجيات المسائية.

وذات يوم، وبعد انتهاء العمل التقى غنيم بأحد المحامين على مقهى البورصة التجارية الكائن في شارع البحر بالمنشية، وقال له ذلك المحامي : – إزيك يا أستاذ غنيم أخبارك إيه؟

أجابه غنيم: الحمد لله يا أستاذ فكري. خير كنت عاوزني في إيه؟

قال الأستاذ فكري: الأول تشرب إيه؟

وقبل أن يجيبه غنيم، قال فكري منادياً النادل : اتنين شيشة تفاح.

قال غنيم مشيراً بيده بعلامة الرفض : لا لا أنا بطلت تدخين من زمان، قلبي ما بقاش يستحمل.

قال فكري : سلامة قلبك .

ثم قال للنادل : خلاص خليهم اتنين زبادي خلاط !

انصرف النادل لإعداد الزبادي، ثم قال فكري لغنيم : اسمع يا غنيم بيه، طبعاً انت عارف شركة (الإسكندرية الجديدة) لإنتاج البسكويت والشيكولاتة وسائر الحلويات.

قال غنيم : بالتأكيد دي شركة قطاع عام مساهمة كبيرة .

قال فكري : وأكيد عارف إن فيه أعضاء في مجلس إدارتها متهمين في قضية اختلاس هيروحوا بسببها في داهية.

قال غنيم : أيوة القضية دي عندنا في نيابة المنتزة.

مال نحوه فكري، وقال بصوت خفيض: تمام كدة، اسمع يا غنيم باشا، عاصم بيه المتهم الأول في القضية دي مستعد يدفع مائة ألف جنيه. مقابل ملف القضية دي!!

هب غنيم واقفاً، وقال : انت اتجننت!

قال فكري مهدئاً: اقعد يا أخي، وما تفرجش علينا الناس.

في هذه اللحظة جاء النادل بالزبادي، فسكت كلاهما ريثما يرحل النادل.

وبعد انصراف الأخير قال فكري : جرى إيه يا غنيم انت فاكرني محامي ابن امبارح ده احنا عشرة عمر يا راجل. واللي أنا بطلبه منك ده ياما عملناه زمان، ولا نسيت؟

قال غنيم : الوضع دلوقتي اختلف يا أخي. أنا دلوقتي رئيس قلم، ومسؤول عن كل ورقة في النيابة. يعني المرة دي مش بس

الموظف اللي في عهدته القضية هو اللي هيتحبس أنا كمان هاتحبس معاه !

قال له فكري : انت هتبقى برة الموضوع خالص. هتعمل مذكرة بفقد ملف القضية، وترفعها لشحاتة بك رئيس النيابة، وتتهم فيها الموظف المسؤول بالإهمال الجسيم، وكدة تبقى بتحمي نفسك.

تصبب العرق من رأس غنيم غزيراً رغم برودة الطقس، وأخرج منديلاً قماشياً ليمسحه، وقال : وإيه ذنب الموظف؟

قال فكري ساخراً : من إمتى الحنية دي يا عم غنيم ؟! دا انت ياما اتسببت في حبس ناس زمايلك، ومع ذلك الموضوع ممكن يرسى على جزاء إداري.

في هذه اللحظة ارتفع رنين الهاتف المحمول الخاص بفكري فضغط على زر بدء المكالمة، وقال : – أيوة يا شريف قضيتك يا ابني اتأجلت لجلسة ٢٠ يناير .. طيب طيب هاكلمك بعدين مع السلامة دلوقتي.

ثم أنهى تلك المكالمة العارضة، وقال لغنيم : اسمع يا غنيم مش بس مائة ألف جنيه، ابنك فاروق هو مش برضه حاصل على بكالوريوس تجارة؟

أومأ غنيم برأسه بالإيجاب دون أن يرد، فقال فكري : خلاص اعتبره اتعين في شركة (الإسكندرية الجديدة) محاسب أد الدنيا.

قال غنيم : الموضوع مش بسيط يا فكري. دي قضية أموال عامة أد الداهية مش محضر إشغال طريق. غير كدة وكيل النيابة حاطط الملف جوة دولابه وقافل عليه بقفل كبير ومفتاحه مش معايا، ولا حتى معايا مفتاح أوضة المكتب.

قال فكري : معلوماتي إن كل مفتاح بتبقى فيه منه نسخة مع رئيس القلم.

قال غنيم : مين الحمار اللي قالك كدة؟ عموماً العرض مغرٍ، سيبني أرتب للموضوع كويس.

قال فكري : آه بس قوام عشان مفيش وقت. الجماعة مستعجلين.

قال غنيم : وليه الاستعجال؟ القضية لسة بدري على ما تتحال للجنايات. ولحسن الحظ إن المتهمين مُخلى سبيلهم مش محبوسين.

قال فكري : واحنا هنستنى لما يتحبسوا ؟!

شرب غنيم الزبادي، وقال : خليها على الله !

قال فكري : ونعم بالله ! المهم إن احنا مستعجلين .

سأله غنيم : هي القضية عند مين من البهوات؟

شرب فكري ما تبقى في كوبه من الزبادي محدثاً صوتاً مقززاً، صانعاً شارباً أبيض على شفته العليا، وابتسم ابتسامته الصفراء، وقال مجيباً : – عند محمود بك اللي سكرتيره جرجس.

الاختيار الصعب

لا يمكن لأحد أن يصف مقدار السعادة التي شعر بها جرجس عند رؤيته مادلين في تلك اللحظة، كأن ظمآناً وجد زجاجة مياه مثلجة في يوم شديد الحرارة، أو كأن طفلاً تائهاً اهتدى أخيراً لأمه.

لقيته مادلين بابتسامتها الساحرة الجميلة، ومدت يدها لتسلم عليه، فارتجف قلبه عندما لمس كفها، وسألها عن حالها وحال أبيها الحبيس وأمها، وقال لها أيضاً : – إن شاء الله ربنا يفك سجنه، ويطلع بالسلامة، ويرجع تاني لشغله.

قالت في أسى : إن شاء الله.

ثم قال محاولاً تغيير دفة الحديث : لكن إيه الصدفة الجميلة دي؟ كنت بتعملي إيه في المنشية؟

أجابته : أنا بشتغل محامية هنا في المنشية في مكتب الأستاذ عبد الرحيم سلام المحامي.

ارتفع حاجباه، وقال في دهشة : محامية؟ أول مرة أعرف. مع إني مش بشوفك في النيابة خالص !

قالت لـه : أصل الأستاذ عبد الرحيم اللي بشتغل عنده معظم شغله مدني وتجاري، ونادراً ما بناخد شغل جنائي.
قال جرجس : المحاماة مهنة عظيمة، أنا حتى بفكر أدخل كلية الحقوق وآخد الليسانس، وأقدم استقالتي واشتغل محامي.
قالت له في دهشة : معقول هتسيب الوظيفة، وتشتغل محامي؟
قال لها : ما إنتِ عارفة دي وظيفة ما يعلم بيها إلا ربنا.
قالت لـه : معاك حق، بس برضه الوظيفة مضمونة على الأقل إنت ضامن المرتب.

كانت مادلين في هذه الناحية لا تختلف أبداً عن معظم الشعب المصري الذي يكاد يعبد الوظيفة العامة، ويقيم لها تمثالاً. ماذا تعرف هذه الفتاة الجميلة المدللة عن المحاماة، وفن المحاماة وعظمتها، وعظمائها، هل قرأت عن إبراهيم الهلباوي؟ هل سمعت عن مكرم عبيد؟ بالتأكيد لا، وهي تنتمي إلى جيل يعادي القراءة أكثر مما يعادي إسرائيل. هذا الجيل الذي يعد جرجس استثناءً حقيقياً منه.
وقال لها جرجس : على كل حال دي مجرد فكرة.
ثم سألته : وإنت بتعمل إيه لغاية دلوقتي؟
أجابها : أنا خلصت شغل وكنت رايح سوق الأدوات المكتبية اشتري شوية ورق فلوسكاب، وأقلام جاف لزوم التحقيق.

ابتسمت، وقالت له : أنا كمان بالصدفة كنت رايحة اشتري أقلام حبر من هناك.

تهللت أسارير جرجس، وقال لها : خلاص تعالي معايا.

ذهبا معاً إلى سوق الأدوات المكتبية الشهير الذي تشتهر به المنشية، وأحس جرجس بأجمل إحساس يمكن أن يحس به إنسان، فها هو يحقق حلمه بأن تعرف إلى مادلين، وبدأ يقترب منها، وكان السوق مزدحماً كعادته حيث اكتظ بتجار التجزئة الذين يشترون بضائعهم بالجملة من هناك إلى جانب الزبائن العاديين. وبعد أن انتهيا من الشراء ألح عليها أن يدفع لها الحساب إلا أنها أبت بشدة فانصاع لرغبتها في النهاية. وبعد أن خرجا من السوق قال لها : تعالي نشرب حاجة في كافيتريا الأهرام.

- خليها مرة تانية عشان مستعجلة.
- مش هأخرك.

بعد دقائق جمعتهما الكافيتريا، وقال جرجس: لكن قوليلي يا مادلين بقالك أد إيه بتشتغلي محامية؟

أجابته : ابتديت من حوالي سنة ونص.

عاد فسألها : ومبسوطة بالشغل؟

أجابتـه : الحمـد لله الحـال ماشـي. الأسـتاذ عبـد الـرحيم راجـل محترم، ولا يبخل علي بمعلومة أو نصيحة. لكن للأسف العائد من المحاماة ضعيف جداً عشان كدة باتمنى أتعين موظفة في المحكمة.

ارتفـع حاجبـاه، وأراد أن يقـول لهـا شـيئاً إلا أنهـا سـبقته بقولهـا : طبعـاً أنـت مسـتغرب، وبتقـول فـي سـرك إيـه المجنونـة دي اللـي عايزة تشتغل في الجحيم، وشايفة أبوها محبوس بسببه.

قـال لهـا جـرجس : الحقيقـة كمـان المحامـاة، مـن وجهـة نظـري المتواضعة، أرقى وأعلى من الوظيفة أياً كانت.

قالت مادلين : أرقى إيه بس؟ أنا مرتبي اللي بتحصل عليه من المكتب يدوب ملاليم، وبعتمد على المصروف اللي باخده من ماما لغاية دلوقتي.

شعر جرجس بشيء من الحنق، وهو يحاول أن يقنعها بوجهة نظره، وقال لها : لكن الفلوس مش كل حاجة.

قالـت مـادلين : لا الفلـوس مهمـة، ومـا حـدش يقـدر يعـيش مـن غيرها.

ثم تطرق حديثهما بعد ذلك إلى عمله في النيابة، وحكى لها عن محمود بك وكيل النيابة ذلك الرجل المحترم الذي علمه كيف يعمـل، وكيـف يكتـب التحقيـق الجنـائي. والـذي لا يبخـل عليـه

بالمعلومة والنصيحة. كما أن محمود بك من أكثر المشجعين والمؤيدين لفكرة التحاقه بكلية الحقوق. ولا ينسى جرجس يوم أن قال له محمود بك : يا جرجس انت ولد ذكي، وهتبقى محامي كبير.

ثم نظرت في ساعتها وقالت : يا خبر أنا اتأخرت، لازم أقوم.

– لسة بدري.

– معلش أصل ماما قاعدة لوحدها في البيت.

قام جرجس، وقال : زي ما تحبي، اتفضلي أوصلك لغاية موقف المشاريع.

ثم قال لها : حشوفك تاني امتى؟

ابتسمت، و قالت له : أكيد حنتقابل.

سار معها حتى موقف الميكروباصات أو المشاريع كما يدعونها أهل الإسكندرية، وتبادلا أرقام الهواتف المحمولة على وعد بلقاء قريب.

استلقى جرجس على سريره، وظل يفكر في مادلين وفي لقائه بها. ولم يكن يدري ما سر ذلك الانقباض الذي كان يشعر به؟ والذي عكر صفو سعادته.

ألعل ذلك الانقباض بسبب ما قالته مادلين عن رأيها في المحاماة؟ ونظرتها للوظيفة، ورغبتها في ترك المحاماة وصيرورتها موظفة في المحكمة.

وماذا في هذا؟ هذه رغبتها وهي حرة.

ولكن .. ولكنه يريدها زوجة له.

فهل يمكن أن توافق على تركه للوظيفة؟ أم ستتمسك برأيها؟

وهذا يمكن أن يقوده لسؤال آخر : هل مادلين تحبه؟ و يمكن أن تقبله محامياً؟

أم يضحي هو بفكرة المحاماة، ويظل حبيس الوظيفة حتى سن المعاش من أجل مادلين؟

تذكر هنا عبارتها " الفلوس مهمة وما حدش يقدر يعيش من غيرها "

هل مادلين مادية مثل أبيها؟

هنا تذكر قول صديقه وزميله بطرس : " واحدة أبوها حبسجي، عايزها تبقى إيه ؟ "

لا .. لا ..، لا يمكن أن تكون مادلين هكذا.

ولكنه ما زال يشعر بانقباض. هل يمكن أن ترفضه مادلين زوجاً لها؟

ولو خيرته مادلين بينها، وبين المحاماة أيهما يختار؟

هل يختارها ويظل أسيراً للوظيفة حتى يبلغ الستين بعد عمر طويل؟!

أم يضحي بحبه الوحيد، ويختار المحاماة بما تستتبعه من حرية؟

من ناحية أخرى.. ماذا يفعل مع أمه التي ترفض وبشدة موضوع ارتباطه بمادلين؟

هل يُغضب أمه ويصر على الزواج من مادلين؟ أم يدوس على قلبه سعياً لرضاء أمه.

ويالها من حيرة عظيمة، واختيار صعب جداً.

المؤامرة

ذهبت شريفة– التي تعمل مع والدتها في مقهى "صابر" المواجه للمحكمة على ماكينة تصوير المستندات– إلى مكتب الأستاذ عبد الرحيم سلام المحامي بعدما قرأت إعلانه عن طلب سكرتيرة.

شريفة شابة في أوائل العقد الثالث من العمر سمراء البشرة ترتدي حجاباً قصيراً يكشف بعض خصلات من شعرها الخشن، وهي تمتلك طموحاً هائلاً، وتتمنى الالتحاق بكلية الحقوق قسم التعليم المفتوح، وأن تحصل على الليسانس.

وهي ودود جداً، دائمة الابتسام، إلا أنها تتحول إلى ألف رجل إذا تعرضت لثمة مضايقات من بعض أرذال المقهى.

وقد ناقشت والدتها كثيراً وجادلتها في موضوع الوظيفة، فالأم تريدها معها لتعينها فيما يبيعانه من بعض الأدوات المكتبية الصغيرة إلى جانب ماكينة التصوير. وهذا هو مصدر رزقهما الوحيد إلا إذا اعتبرنا معاش الضمان الإجتماعي في عداد النقود.

والأم أيضاً تتمنى لابنتها زواجاً مباركاً من أحد رواد المقهى من شباب المحامين أو الموظفين، لكن شريفة رفضت الكثيرين ممن تقدموا لخطبتها حيث وجدت أن الزواج سوف يحد من طموحها. فالعريس- أي عريس- لا يريدها أن تعمل وأن تتعلم. إنها تتمنى عريساً مشجعاً مساعداً لها، لا عريساً يقف حجرًا عثرة أمام طموحها.

وعندما ذهبت إلى المكتب وجدت عشرات الآنسات والسيدات اللاتي تقدمن للوظيفة المعلن عنها، وكانت قلقة جداً، ودعت ربها سراً أن يكتب لها التوفيق وتكون هذه الوظيفة من نصيبها. ذلك أنها تتمنى ليس فقط شغل تلك الوظيفة، وإنما أيضاً تتمنى أن تكون قريبة من الأستاذ عبد الرحيم سلام، وهو من أكبر محاميي الإسكندرية، وربما مصر كلها. فإذا التحقت بكلية الحقوق ضمنت بذلك مساعدته وتدريبه لها في المكتب. ومن يدري؟ ربما صارت يوماً محام كبيرة يشار لها بالبنان.
وتم اختبار المتقدمات للوظيفة في الكتابة على الكمبيوتر، وكانت شريفة أسرعهن وأقلهن أخطاءً . فتم قبولها في المكتب.

وبمرور الأيام اندمجت شريفة في عملها الجديد، وأبلت فيه بلاءً حسناً، فعهد إليها الأستاذ المحامي صاحب المكتب بكتابة

المذكرات على الكمبيوتر، ووكلها لإنهاء كثير من الأوراق داخل المحكمة فتعرفت من خلال ذلك إلى العديد من الموظفين والموظفات.

كما نشأت بينها وبين مادلين بنت فايز ميشيل صداقة متينة حيث كانت الأخيرة تعمل محامي تحت التمرين في ذات المكتب، ووجدت كل واحدة في الأخرى أختاً حقيقية، وكثيراً ما جلستا معاً بعد فراغهما من العمل تحكي كل منهما كل شيء، وكل ما مرتا به خلال اليوم.

ويوماً ما كانت مادلين تجلس مع شريفة في إحدى حجرات مكتب الأستاذ عبد الرحيم سلام المحامي لإنجاز بعض الأعمال بعد أن انصرف كل من في المكتب إلا عم عبد المولى الساعي الذي طلبتا منه إعداد الشاي.

وقالت شريفة لصديقتها : – مالك يا مادلين .. سرحانة؟

ردت مادلين مجيبة:– لا أبداً .. فيه موضوع شاغلني.

قطبت شريفة جبينها، وقالت : موضوع الأستاذ فايز؟! إن شاء الله خير. أنا سمعت أن محامين كتير اتطوعوا للدفاع عنه على رأسهم الأستاذ عبد الرحيم نفسه.

قالت مادلين : مش بس ده الموضوع الوحيد .. الهموم كتير!

في هذه اللحظة دخل عم عبد المولى حاملاً صينية عليها الشاي والماء، ووضع الصينية بما عليها على مكتب مادلين وانصرف.
فقالت شريفة : فيه إيه تاني يا بنتي؟
– جرجس الموظف في نيابة المنتزة.
– آه عارفاه .. ده كان بيقعد على القهوة كتير مع زمايله. ماله؟
– بيحاول يقرب لي .. شكله عايز يتقدم لي.
قالت شريفة وقد اكتسى صوتها بالفرح : – عظيم .. ألف مبروك، جرجس ده محترم جداً.
– مش دي المشكلة.
– إيه المشكلة؟
– أول حاجة : إزاي يتجوزني، وأبويا محبوس ويا عالم حيطلع من الموضوع ده امتى، والحاجة التانية إنه ناوي يستقيل من الوظيفة ويشتغل محامي. وساعتها حنشحت احنا الاتنين. غير إنه مش وسيم وشكله مكعبر كدة.. بصراحة مش ده الشاب اللي بتمناه!

ضربت شريفة كفاً بكف، وقالت: انت يا مادلين أمرك عجيب والله. أولاً: موضوع والدك ده ماهوش سر .. وهو أكتر واحد عارفه، ومع ذلك ما اعترضش عليه. أكيد جرجس واثق من براءته وده دليل أنه محترم. ثانياً : موضوع المحاماة اللي بيفكر

فيه ده أنا شايفة أنه شيئ عظيم .. ليه عايزة تعاقبيه على طموحه.. مش يمكن يبقى محامي كبير زي الأستاذ عبد الرحيم اللي مكتبه بيشغي بالموكلين زي ما انت شايفة؟. ثالثاً : موضوع الوسامة والشكل ده بصراحة ومن غير زعل يعني أنا بعتبره تفاهة لأن الراجل ما يعيبهوش شكله، ثم هو مش قبيح قوي برضه. باختصار أنا شايفاه عريس مناسب جداً ليكي في الظروف اللي انت فيها. وده رأيي.

قالت مادلين غاضبة:- الله يسامحك يا شريفة بقى أنا تافهة! ضحكت شريفة، وقالت : يا ستي ما تزعليش أنا بس بفهمك .. إنك بتبالغي.

قالت مادلين في حدة: لا أنا مش ببالغ. أولاً مش كل المحامين زي الأستاذ عبد الرحيم سلام .. وأنت أكتر واحدة عارفة إن المحامين بقوا أكتر من الهم على القلب، وتسعين في المائة منهم قاعدين على سلالم المحكمة مستنيين الفرج .. عايزة جوزي يبقى واحد منهم يا ست شريفة؟! و بعدين موضوع الشكل والوسامة ده مهم بالنسبة لي.

قالت شريفة محاولة تهدئة صديقتها: يا حبيبتي اهدي بس واتكلمي بالراحة. انت ليه حكمتي عليه إنه حيبقى محامي فاشل؟ أنا لعلمك كنت بسمعه وهو بيتكلم مع زمايله على القهوة في

السياسة والقانون، وأدركت أنه انسان مثقف وذكي، ولو دخل كلية الحقوق حيبقى متفوق فيها جداً .. ده مش بعيد يبقى وكيل نيابة كمان، وبكرة أفكرك وتقولي شريفة قالت.

– لا لا .. أنا مش عايزة اشتري سمك في مية !!

سكتت شريفة، وهي تتأمل صديقتها في دهشة، ودعت لها من أعماقها بالتوفيق.

في فيلا فاخرة بمنطقة العجمي بالإسكندرية جلس رجل أربعيني أمام حمام السباحة أسفل مظلة تحجب عنه آشعة الشمس رغم أن الجو ليس حاراً في هذا الوقت من السنة والخريف يعلن عن رحيله، والشتاء مقبل في منتصف ديسمبر. وأمامه منضدة بلاستيكية عليها عصير برتقال. وتتدلى من رقبته سلسلة ذهبية غالية الثمن. ويداعب بيده اليسرى كلباً (دوبر مان) كان رابضاً إلى جواره فاتحاً فكيه مخرجاً لسانه الطويل كعادة الكلاب، وفيما هو يرتشف من العصير جاء إليه رجل طويل القامة يرتدي حلة سوداء، ومنظارًا أسود، ويمسك بيمناه جهاز لاسلكي، وأغلب الظن أنه يقوم على حراسة الرجل الأربعيني مالك الفيلا وكذا حراستها، وقال رجل الحراسة : – عاصم بك.

نظر له، وقال : عاوز إيه يا فريد ؟.

أجابه فريد : الأستاذ فكري المحامي، ومعه واحد تاني عايزين يقابلوا حضرتك.

أشار له عاصم قائلاً : خليهم يدخلوا ، وما تسمحش لحد أنه يدخل علينا.

انصرف الرجل لتنفيذ أمر سيده، ولم تمض دقائق حتى كان فكري وغنيم رئيس القلم الجنائي لنيابة المنتزة ماثلين بين يدي عاصم بك عضو مجلس إدارة شركة اسكندرية الجديدة للحلويات. وما إن رآهما الكلب حتى أخذ يهر وينبح في حدة فهدأ عاصم من روعه بأن ربت على ظهره، وهمس غنيم في أذن فكري : – مش كنت تقول إن فيه كلب!.

تجاهله فكري، وقال لعاصم : إزيك يا باشا.. و الله لك وحشة !

أما غنيم فأخذ يتلفت حوله متأملاً الفيلا الفاخرة من الخارج التي بنيت على طراز إيطالي رفيع المستوى، وتكلفت ملايين الجنيهات. ولم يرد عاصم على تحية فكري، وإنما فتح صندوقاً كان موجوداً على ذات المنضدة، وأخرج منه سيجاراً كوبياً فاخراً وضعه بين شفتيه، وأشعله بقداحة ذهبية. وقال بعد أن جذب نفساً عميقاً، ونفث دخانه في وجهيهما : فين ملف القضية؟

انتبه غنيم للحديث، وظهر عليه ارتباك و قال في تلعثم : ما هو .. أصل في الحقيقة..

قال فكري مبتسماً محاولاً تلطيف الجو : يا عاصم بك .. أقدملك الأستاذ غنيم رئيس القلم الجنائي لنيابة المنتزة الجزئية.. يعني أهم موظف في نيابة المنتزة.. يعني هو اللي هيخلص و....

قاطعه عاصم في عصبية، وقال : يعني فين ملف القضية؟

نبح الكلب في هذه اللحظة، وكأن عدوى العصبية قد انتقلت إليه، أو كأنه يسأل بدوره عن ملف القضية، وازداد ارتباك غنيم، وشعر بقدميه ترتعشان، وقال فكري : – هو بس طالب مهلة أسبوع واحد و....

قاطعه عاصم مرة أخرى في عصبية قائلاً : – يومين اتنين مافيش غيرهم.. والقضية دي تبقى قدامي هنا، وأولع فيها بنفسي .. مفهوم؟

قال غنيم متحدثاً للمرة الأولى : يا فندم الموضوع مش بالبساطة دي .. أنا يلزمني شهر!

نظر إليه عاصم وقد تطاير الشرر من عينيه، وقال : نعم يا روح أمك.

ابتلع غنيم الإهانة، وقال : معاليك ما تقلقش من حاجة، القضية قدامها مش أقل من ست شهور على الأقل عشان تتحال للمحكمة. وبعدين أنا محتاج للمقابل اللي اتفقت عليه مع الأستاذ فكري.. محتاجه جداً فوق ما تتصور.

نظر عاصم لفكري نظرة تساؤل فهم الأخير معناها، وقال مبتسماً متلعثماً وكأن الموقف فاجأه : – آه طبعاً طبعاً عاصم باشا عند وعده المائة ألف جنيه اعتبرهم في جيبك من دلوقتي.

ازدرد غنيم لعابه، وقال : أنا.. أنا..

قال عاصم في عصبية شاركه فيها الكلب : إنت إيه ؟

أجابه غنيم وهو يمسح عرقه بمنديله : أنا عايز آخدهم مقدم .. وكمان ابني فاروق يتعين محاسب في شركة اسكندرية الجديدة.

كظم عاصم غيظه، وأخرج من جيبه دفتر شيكات، وقال وهو يسطر رقماً على شيك : ده شيك بخمسين ألف جنيه والباقي لما تجيب القضية.

ثم سأله : أنت اسمك إيه بالكامل عشان أكتبه على الشيك.

أخبره غنيم باسمه كاملاً، وهو يشعر بسعادة لدخول هذا المبلغ الكبير إلى جيبه للمرة الأولى في حياته، وانصرف وفكري من فيلا المدعو عاصم، وهما منغمسان في بحر الشر حتى النخاع.

خطة الشيطان

في مكتب العميد حسين داخل جهاز أمن الدولة جلس الرائد حسام الضابط بالجهاز في مواجهة الأول يتبادلان وجهات النظر التي تخص القضايا التي خلقوها بأنفسهم وشغلوا أنفسهم بها. من مراقبة نشاط الأحزاب المباركية المستأنسة التي لا تهش ولا تنش إلى مراقبة النقابات العمالية والنقابات المهنية التي لا تهدف لشيء ذي قيمة إلى غير ذلك من توافه وصغائر الأمور. وتطرق الحديث إلى قسم القضاء بجماعة الإخوان وإلى أحمد حداد وكيل النائب العام، قال حسين :

– هل تعتقد أن أحمد حداد هيقبل العرض ؟

هز حسام كتفيه وقال في هدوء:– ما عندوش خيار..

عاد حسين يتساءل في قلق:– مش يمكن أن يلعب دور العميل المزدوج ؟

أجابه حسام :– أنا احتطت لده كويس قوي .. وفيه عيون عليه بتراقبه كويس جداً.

اعتدل العميد حسين في جلسته، وقال: ده أمر جيد ولكن لا يكفي، يجب أن تضع تحت يدك ما تضمن به ولاءه لك.

ظهر الاهتمام على حسام، وقال متسائلاً : زي ايه؟

أجابه حسين بخبرة سنوات طويلة من العمل: اللي زي دول لهم أخطاؤهم وزلاتهم اللي بيحرصوا على إخفائها، حرصاً على صورتهم الناصعة المشرقة. عليك أن تمسك عليه زلة لفضحه بها إذا لزم الأمر.

ظهر الإعجاب على وجه حسام، وهو ينظر إلى حسين وقال : أستاذ .. أستاااذ !

ثم استطرد : بس أحمد حداد سمعته كويسة جداً وسط زمايله .

ابتسم حسين وقال : لسة خبرتك محدودة يا حسام !

ظهر بعض الاستياء على وجه حسام وقال : ازاي؟

أجابه حسين: تقدر تقوللي واحد زي أحمد حداد قدر إزاي يغير عربيته القديمة بعربية تانية بي إم دبليو ومعين عليها سواق، وكل يوم يروح النيابة ببدلة جديدة فاخرة غالية الثمن. ورحلة الحج للآراضي المقدسة اللي قام بيها هو وأهل بيته واللي كلفته دم قلبه. كل ده وغيره تقدر تقوللي جاب ده كله منين. الناس فاهمة إنه وارث لكن الحقيقة غير كدة خالص.

سأله حسام : هل تقصد ..

قاطعه حسين : أيوة .. ودلوقتي انت عرفت مهمتك الجديدة يا بطل.

جلس أحمد حداد وحيداً في كافيتيريا نادي سبورتنج يشرب القهوة شارداً تتصارع في رأسه آلاف الأفكار والمخاوف.. لا يعرف إلى أين ستقوده الأيام، ولا يعرف إلى أي الفريقين ينحاز .. الأمن أم الإخوان؟.. أم يظل هكذا حائراً ككرة يتقاذفها لاعبان ماهران أمام جماهير عريضة لا تعرف بدورها من سينتصر .

ولا يستطيع أحمد أن يجيب على سؤال: هل أخطأ من البداية؟ أم أنه سار في الطريق السليم؟.. ألم يكن بمقدوره أن يرفض تجنيد عبد العظيم بك له من البداية، ويرفض فكرة الانضمام لجماعة الإخوان المسلمين؟ لقد كان نائباً عادياً في دائرة المنتزة الجزئية يحترمه الجميع، ولا يعاني من أية مشكلات من أي نوع، ولم يكن يتصور أن ضابطاً مثل حسام يمكن أن يحط من كرامته ويهدده ويتوعده، بعدما كان شريف الطبع، لا يلين جنبه لحادث. ولكن هل كان من المنتظر – إذا لم يسر في هذا الطريق – أن يترشح لمنصب مدير نيابة المنتزة؟ لقد جاء له المنصب بفضل خوضه المغامرة، فهو يؤمن أن المغامرة هي شرط النجاح في الحياة، وعليه أن يستمر إلي النهاية، إنها

الحكمة التي علمها إياه والده حداد بك "ويفوز باللذات كل مجازف" .. صحيح أن الطريق محفوف بالمخاطر، وقد يخسر كل شيء في لحظة إذا ما انكشف أمره لحسام من أنه يتلاعب، ووقتها سيجد نفسه خارج دائرة السلطة ملقى به على الطريق يصارع الموت، يحارب الهلاك، ويصير مطموراً في جدث الفضيحة. لكن ما حيلته؟ .. هل يمكن أن يرتقي ويصل لأعلى المناصب في دولة مثل مصر لو لم يفعل ما سيفعل؟ ومن يدري ربما أصبح يوماً هو النائب العام أو ربما صار وزيراً للعدل..

عندما وصل بأفكاره لهذه النقطة توهجت عيناه، وأحس بالنشوة والسعادة، وتوالت أمام عينيه مشاهد سينيمائية متخيلة له وهو يجلس خلف مكتب النائب العام في القاهرة في دار القضاء العالي يصدر الأوامر والنواهي، وتتهافت عليه وسائل الإعلام تتمنى الفوز بأي تصريح.. ياه يالها من عظمة كبيرة تسبب سعادة وفرحة طاغية ..

عليه أن يعمل جاهداً ليصل لهذا الكرسي.. عليه أن يطيع حسام ولا يغضبه.. وفي نفس الوقت عليه ألا يُغضب عبد العظيم بك ... فمن يدري أيهما سينتصر في النهاية؟.

لقد قرر أحمد أن يلعب لمصلحته هو لا مصلحة نظام مبارك ولا مصلحة الإخوان. عليه أن يفوز في جميع الأحوال.

صحيح أنه ينتمي عقائدياً للإخوان ويؤمن بأفكارهم .. لكن لا يجب أن ينسى نفسه، عليه أن يعمل لما يحقق طموحه و ...

قطع حبل أفكاره أصابع تربت على كتفه من الخلف فنظر فوجد الرائد حسام بابتسامته الصفراء اللزجة، ودمه شبه المتجمد كمن ترك شراييه في صحراء سيبيريا مدة يوم كامل في عز الشتاء. جلس حسام أمام أحمد حداد لتجمعهما ذات المنضدة وقال الأول للثاني في برود : – طبعاً أنا مش محتاج أفكرك .. إنك مضطر تقبل العرض بتاعي، ومش محتاج برضه أفكرك إن أي تلاعب معانا معناه نهايتك.

ازدرد أحمد ريقه، وقال في توتر لم يستطع إخفاءه :– أنا موافق .. بس أرجوك أنا عايز أحافظ على سمعتي قدام الناس.

عندما قال أحمد عبارته الأخيرة هذه أدرك حسام كم كان العميد حسين محقاً وبعيد النظر جداً، فضحك حسام وقال : يا حول الله يا رب .. واحنا يا بني هنعملك إيه؟.. بالعكس ده انت هتترقى وهتبقى مدير نيابة.

ثم مال نحوه وقال : مين قدك يا عم.

مرة أخرى وجد أحمد الأفكار تتصارع في رأسه، تارة يرى نفسه قد أخطأ خطأً شديداً من البداية، وتارة يرى أنه يمشي على الطريق الصحيح السليم.

وفجأة أخرج حسام قرصاً مدمجاً من جيب سترته، وقال : السي دي ده يا ريت تتفرج عليه النهاردة لما تروح بيتكم.. بس نصيحة مني تتفرج عليه لوحدك . عشان فيه حاجات ما يصحش حد يشوفها غيرك..

انزعج أحمد وسأله في عصبية متوترة : فيه إيه السي دي؟

ابتسم حسام، وقال وقد راقه انزعاج أحمد : شوف وانت تعرف .. وخللي بالك فيه منها نسخ كتير. طبعاً احنا مش حننشر السي ديهاية دي إلا لما نحب نغلس، واحنا مش هنغلس إلا إذا لعبت بديلك.

أمسك أحمد القرص المدمج بيدين مرتعشتين. وتأمله لحظات في رهبة ممزوجة بدهشة، ورفع رأسه فوجد حسام قد اختفى تماماً.

في صباح أحد الأيام ازدحمت الطرقات في النيابة كالعادة حيث امتلأت بالبشر من موظفين، محامين، ومتهمين وضعت الأغلال الحديدية في معاصمهم رفقة الحراسة اللازمة. وتجد أهالي المتهمين يصرخون ويتشاجرون مع الجنود، وتسمع زوجة أحد المتهمين تقول لأحد أفراد الشرطة الذي يقسو على زوجها: انت بتضربه ليه؟ أمال لو ما كنتش لاهف مني خمسين جني كنت عملت إيه ؟!، تتشاجر معه وصغيرها يعلو كتفها، بخلاف

الصغير الآخر الذي تجره بأذيالها، ويرتشف الذباب من المخاط الذي يتدلى من أنفيهما، وتسمع أخرى تصرخ في وجه المحامي: يعني إيه اتحبس .. لاااا دا انت واخد مني مائتين جني .. هو فين رئيس النيابة؟ أنا عايزة أقابله، وبين هذه وتلك تجد موظفًا يتشاجر مع محامٍ، وآخر يصرخ في وجه أمين شرطة : – جهز المتهمين والأحراز بسرعة خللينا نخلص، وتجد عوف عامل المقصف (البوفيه) يحمل صينية عليها أكواب الشاي والقهوة والمياه الغازية يروح ويجيء في الطرقة يبيع لكل هؤلاء ويحاسب هذا ويفاصل مع ذاك، ومحام تتحدث في هاتفها المحمول بصوت مرتفع : – أيوة يا حاجة .. أوراق العلاج بتاعة (حمو) وصلت، ووكيل النيابة بيقولك لازم (حمو) ييجي النيابة بكرة الساعة تسعة الصبح عشان يتعرض على (التب) الشرعي .

كل هذه الضوضاء لم تصل لمسامع غنيم رئيس القلم الجنائي الذي وقف أمام نافذة حجرته سارحاً في بحر المنشية شارداً يفكر فيما هو مقدم عليه، لقد قرر وعقد العزم أن يسرق ملف قضية شركة الإسكندرية الجديدة حتى يتقاضى خمسين ألف جنيه أخرى غير تلك التي تقاضاها، وليضمن لابنه فاروق وظيفة محاسب في ذات الشركة.

ولكن كيف يفعل هذا، ويتسبب في حبس جرجس وهو يعلم أن هذا الأخير نظيف اليد، نبيل النفس، إن ضميره يعذبه، ويشعر أن ألف سكين تنهش في صدره.. هل يتراجع؟ أم يستمر؟

لقد اعتاد جرجس كل صباح أن يجلس معه في حجرته لمدة نصف ساعة قبل أن يذهب لحجرته، ورغم كل عيوب غنيم إلا أنه كثيراً ما لقن جرجس دروساً في الأعمال الإدارية، وكثيراً ما شرح له الدورة المستندية للقضايا من جنايات وجنح ومخالفات، وكثيراً ما كان يقول له : أي حاجة مش فاهمها تعالالي، وأنا أشرحها لك.

حتى تكونت الألفة بينهما، وصار جرجس في منزلة الابن لغنيم، فهل بعد كل هذا يصل لذلك المصير؟ يتسبب في حبس من اعتبره كابنه؟ ولكن ماذا يفعل؟ إنه أمام عرض مغرٍ. عرض لا يمكن أن يرفضه، بقى أن يفكر في طريقة للتنفيذ، وليتولى الله أمر جرجس !

وبينما كان سارحاً دخل إلى حجرته أحد الموظفين، وقال : يا أستاذ غنيم .. أستاذ غنيم.

نظر غنيم لمحدثه وقال : عايز إيه يا حسني؟

تنحنح حسني وقال : أنا مضطر أمشي دلوقتي .

ظهر الاستنكار على وجه غنيم، وقال : تمشي تروح فين؟

تهدج صوت حسني، وقال في تأثر واضح : أصل عمتي ماتت!
صرخ في وجهه غنيم، وقال في عصبية: هي مش ماتت قبل كدة يا ابني!!
قال حسني : دي واحدة تاني، ما أنا عماتي وخالاتي كتير قوي.
زفر غنيم وقال : طيب طيب .. اتفضل مع السلامة، والبقاء لله.
خرج حسني، وفي هذه اللحظة دخل الأستاذ مصطفى سكرتير شحاتة بك رئيس النيابة، وقال لغنيم : ما لك متنرفز ليه؟
أجابه غنيم : حسني يا سيدي كل يوم يطلع بحجة شكل، مرة عمته ماتت، مرة خالته بتعمل عملية، مرة مراته بتولد . دي حاجة تقرف.
قال مصطفى في استنكار : دي مراته بتولد كل تسعة أشهر.
قال غنيم في غضب: هو بس كدة . والله العظيم أبوه مات خمس مرات!!!
ضحك كلاهما، وقال غنيم مستطرداً في سخرية لاذعة : حسني ده بيثبت لي كل يوم إن هو الحلقة المفقودة بين الإنسان والقرد!
ثم خرج بعد ذلك مصطفى من حجرة غنيم، وعاد الأخير لأفكاره، وبدأت معالم خطة تنفيذ جريمته تتكون في رأسه.

عـوف عامـل المقصـف شـاب فـي نهايـة العقـد الثالـث مـن العمـر، لا يمكـن الاسـتغناء عنـه، فهـو مسـئول الشـاي، القهـوة، النسكافيه، وما يعرف بالسكلانس (وهو لمن لا يعرف خليط من الشاي والبن)، وسائر المشروبات الحلال، يعمل مع آخرين مثله عند المعلم عبد العزيز الذي فاز بالمناقصة التي أجرتها المحكمة الابتدائية لتأجير المقصف لقاء عشرين ألف جنيهاً شهرياً، وقد قسَّم عبد العزيز العمل على صبيانه فعهد لعوف بمشاريب نيابة المنتزة، وسيد بمشاريب نيابة الرمل أما رياض فهو مسئول الدور الثالث حيث نيابتي باب شرقي والمنشية.

وهم ينفذون تعليمات عبد العزيز حرفياً، فأسعار المشروبات للموظفين دائماً تقل بمقدار نصف جنيه عنها بالنسبة لأعضاء النيابة والمحامين والمتهمين. وحجة عبد العزيز في ذلك أن الموظف لن يترك موقعه في النيابة التي يعمل بها قبل عشر سنوات على الأقل، أما وكيل النيابة فسيغادر بعد سنة أو سنتين، وبالتالي لا بد من صيانة العِشرة مع الموظف! ودائماً ما يقول لصبيانه : الموظف هو اللي قاعدلك !

ولم يخسر عبد العزيز المناقصة أبداً منذ عشرين عاماً لذلك تعرفه أجيال كثيرة من الموظفين ورجال القضاء منذ أن كان صبياً صغيراً، أما عوف فهو أقدم صبيانه استلمه ودربه منذ أن

كان طفلاً في الثامنة، وكان عوف طفلاً ذكياً عرف كيف يكون ملماً بقواعد سوق الماء الساخن سريعاً، ويجيد عوف حرفته بشكل يثير الإعجاب، فهو يعرف ويحفظ طلبات مئات الزبائن دون أن يدونها !! ثم أنه لا يتأخر كثيراً فلا تمر دقائق حتى يجد الموظف أو غيره طلبه أمامه. ولا يعني هذا أنه لا يقع في بعض الأحيان في بعض الأخطاء التي يغفرها البعض، ولا يغفرها البعض الآخر.

وفي أوقات فراغه تجده يروي لك روايات عديدة مثيرة وعجيبة، فوزير العدل الحالي – مثلاً – كان لا يشرب النسكافيه إلا من يده عندما كان وكيلاً للنيابة هنا في نفس المكان. فيرد عليه آخر في تهكم : – أيام الوزير ما كان وكيل نيابة، حاجة من اتنين يا إما انت ما كنتش اتولدت ، يا إما النسكافيه ما كانوش اخترعوه !

ويعرف عوف كيف يحافظ على أكل عيشه فهو عظيم في ابتلاع الإهانات حال حدوثها، فإذا قال له رئيس النيابة : يا حمار يا متخلف جايبلى سحلب، وأنا طلبت شاي.

تجده يبتسم ويقول : يا سعادة الباشا.. الشاي جاي في الطريق، لكن أنا عايز معاليك تجرب السحلب ده أنا عامله بإيدي.

كما يجيد عوف خلق المصلحة له بشتى الطرق، فإلى جانب بيع الكيف المسموح به للكافة، تجده يبيع الملابس الجاهزة للموظفين فيعرض عليهم – أحياناً – أقمصة وبنطلونات، ولا مانع من الملابس الداخلية، إلى جانب كروت الشحن والأقلام الجافة وأقلام الحبر وأقلام الرصاص. ليس هذا فحسب، فإذا لم يكن هناك محامٍ مع المتهم فمن غير عوف ينقذ الموقف، ويُحضر المحامي لغرفة التحقيق (حيث يلزم القانون وجود محامٍ مع المتهم إذا كانت التهمة جناية) وذلك مقابل حصوله على نسبة من الأتعاب التي تقدرها النيابة، يحصل عليها من المحامي عقب تحصيله إياها من خزنة المحكمة، كما أن علاقاته الطيبة مع كُتاب الجلسات مكنته من إيجاد باب رزق لبعض المرتزقة مثل ابن خالته حمدي، والذي يعمل مع جابر عثمان سكرتير الجلسة بنيابة المنتزة، وتجده أحياناً أخرى يقف مع أمهات المتهمين المتلهفات للاطمئنان على أبنائهن، ويقول لهن: خير إن شاء الله، لو عايزين تعرفوا القرار خمس دقائق بالظبط وأنا أقول لكم. فيدخل لحجرة وكيل النيابة المحقق بحجة إحضار الشاي أو القهوة، ثم يسأل السكرتير خلسة : – الواد بتاع النهاردة عمل إيه؟

فيشير له الموظف بعلامة رابعة – و لا تحمل هذه العلامة هنا أي دلالة سياسية، بل المقصود بها أن المتهم قد حُبس أربعة أيام احتياطياً – فيخرج عوف إلى أم المتهم، ويقول لها وقد رسم على وجهه ابتسامة مزيفة: مبروك يا حاجة ابنك طلع بكفالة مائتين جني.

فتطلق السيدة المسكينة زغرودة، وتمنحه الحلاوة المحترمة، ثم يفر من أمامها هارباً قبل أن تعرف الحقيقة. ويعود لعمله، وكأنه لم يفعل ما يستوجب غضب الخالق موزعاً الأكواب الساخنة على الناس، ومنهم رئيس القلم الأستاذ غنيم الذي دخل حجرته مقدماً إليه فنجان القهوة المضبوطة، وما إن رآه غنيم حتى قال له :– عوف اندهلي الأستاذ جرجس لو سمحت.

أشار عوف بسبابته إلى عينيه، وقال: تأمر من عينيا.

ذهب عوف، وقابل نصيراً وهو عسكري من حرس النيابة يقف أمام باب حجرة محمود بك وكيل النيابة لا يبرح مكانه إلا إذا أرسله محمود بك لقضاء أمر ما، وقال عوف لنصير: الأستاذ غنيم عايز الأستاذ جرجس.

دخل نصير إلى حجرة محمود بك حيث يجلس جرجس، وأخبره أن غنيم يريده، ولم تمض دقائق حتى مثل جرجس أمام غنيم، وقال له الأخير : – جرجس .. خد القضية المتهم فيها فايز

ميشيل من مكتب شحاتة بك رئيس النيابة .. واطلع بيها النيابة الكلية.

سأله جرجس في دهشة : – ليه؟

أجابه غنيم: النهاردة ميعاد جلسة تجديد الحبس بتاعة فايز .. وأنت المكلف بكتابة محضر الجلسة مع رئيس النيابة الكلية فوق في الدور العاشر في مجمع المحاكم !

ووقع ذلك الكلام على مسامع جرجس كالصاعقة.

في النيابة الكلية

قال جرجس في انزعاج شديد: لا لا اعفيني يا ريس من الحكاية دي.. أرجوك.

قال غنيم في غضب : نعم يا رو...

ثم بتر عبارته التي كان ينوي أن يقولها لما وجدها منافية للياقة، وقال : يعني إيه اعفيني؟.. يعني أطلع أنا بنفسي أجدد له حبسه ؟!

قال جرجس في غضب مماثل: هو مفيش غيري ؟.. طب ما الأستاذ مصطفى سكرتير شحاتة بك هو الأولى مني بالحكاية دي.

قال غنيم في لهجة شديدة حاسمة غاضبة: أنا قلت انت اللي هتكتب المحضر يعني انت اللي هتكتب المحضر!!

ثم خرج جرجس غاضباً من حجرة رئيس القلم، وذهب إلى محمود بك وكيل النيابة، وأخبره بما كان من رئيس القلم الأستاذ غنيم، فقال له محمود بك في هدوء بعد أن عدل من وضع منظاره الطبي : على كل حال يا جرجس احنا النهاردة ما

عندناش شغل مهم، وأنا شايف إنك تطلع تعمل الشغلانة دي عشان تكتسب خبرة جديدة !

تركه جرجس ولم يناقشه، وذهب لبطرس الذي ما إن عرف حتى غرق في الضحك، وقال : يا لتصاريف القدر.. حبس فايز حيكون على إيدك انت يا جرجس ! ده فيلم عربي هابط.

قال جرجس غاضباً: مش وقت هزارك البايخ .. لو سمحت اطلع انت بدالي.

أشار بطرس لأكوام القضايا المطلوب كتابتها في جدول المخالفات، وقال : ما انت شايف الشغل اللي قدامي .. أجيب وقت منين.

قال جرجس في أسلوب أقرب إلى التوسل مشيراً لأكوام القضايا: أنا هساعدك فيهم .. بس أرجوك أنا مش هاقدر أكتب محضر الجلسة دي بالذات .. ولا هاقدر أكتب أمر مد الحبس الاحتياطي بتاع فايز، وأنت فاهم ليه .

قال بطرس: يا حبيبي الشغل حاجة والمسائل العاطفية حاجة تانية ..

ثم غمز بعينيه، وقال مضيفاً في خبث: وهي أكيد هتقدر.

التفت جرجس يميناً ويساراً وقال: طب وطي صوتك يا مغفل.

وأضاف في غضب قبل أن يتركه:- ماشي يا بطرس .. أنا حبقى أوريك إزاي أسلوبك في الحياة يتعدل!

ضحك بطرس، وقال ساخراً: لو مش عاجبك أسلوبي.. رجع لي دبدوبي!!

لم يجد جرجس بداً من الانصياع للأمر الواقع فأخذ ملف قضية فايز ميشيل والد محبوبته مادلين، وجهز أوراقها، وصعد بها إلى مكتب رئيس النيابة الكلية في الدور العاشر بمجمع المحاكم.

وقبل أن يصعد وقف قرابة نصف ساعة خلف طابور المصعد ذلك الطابور العظيم، ذلك الطابور الذي إن دل على شيء فأنه يدل على تدهور الإدارة المصرية، فلا أحد يعرف من هذا العبقري الذي جعل النيابات الكلية وقاعات المحاكم في الأدوار العليا مما يؤدي لتكدس البشر يومياً أمام المصاعد الأمر الذي يؤدي لسرعة إهلاكها وارتفاع تكلفة صيانتها، وفي نفس الوقت فإن مكتب الباشا الكبير رئيس المحكمة الإبتدائية – الذي لا يزوره الكثيرون – في الدور الأول فقط!!

قال غنيم لنفسه بعد ذهاب جرجس إلى النيابة الكلية : الآن أستطعت إبعاد جرجس عن النيابة، بقى أمامي محمود بك..

أنتظر قليلاً حتى يذهب إلى الحمام للوضوء قبيل صلاة الظهر وبذلك تصبح الحجرة خالية. ومفتاح الدولاب موضوع في درج المكتب الخاص بمحمود بك .. لن يراني أحد سوى نصير العسكري.. أستطيع إرساله لشراء أي شيئ من المنشية و ...

قطع استرسال أفكاره مجيء مصطفى سكرتير شحاتة بك وقال له: أستاذ غنيم ! .

نظر له غنيم في غضب، وقال في عصبية : فيه إيه يا مصطفى؟ .. عايز إيه؟

أجابه مصطفى في هدوء بارد: مش أنا اللي عايز .. الباشا عايزك.

أطلق غنيم زفرة قوية من صدره، وقال : وده عايز إيه دلوقتي؟

مط مصطفى شفتيه، ولوح بيديه وأجاب: والله مش عارف .. روح له وأنت تعرف.

لم تمض دقائق حتى كان غنيم ماثلاً أمام شحاتة بك رئيس النيابة الذي بادره بقوله : أستاذ غنيم .. مبروك .. النيابة حتتقسم نيابتين. نيابة أول المنتزة، ونيابة ثاني المنتزة، مطلوب منك أنت ومصطفى وصبحي تعملولي كشوف بكل القضايا اللي حتبقى من اختصاص كل نيابة منهم.

بُهت غنيم، وسكت قليلاً ثم قال : آه.. آه حاضر يا باشا إن شاء الله بكرة الصبح حـ ...

قاطعه شحاتة بك بقوله: لا لا بكرة الصبح إيه؟ المحامي العام مستعجل قوي !! أنا عايز الكشوف دي تبقى على مكتبي كمان ساعة من دلوقتي. و مفيش حد منكم هيروح بيته النهاردة غير لما الكشوف دي تبقى جاهزة.. مفهوم؛ لأن زي ما قلت لك المحامي العام مستعجل قوي.

غلى الدم في عروق غنيم، وقال : مفهوم يا سعادة الباشا.

ثم خرج من مكتب رئيس النيابة، وأغلق الباب خلفه، وأخذ يسب ويلعن بصوت خفيض خشية أن يسمعه أحد، وقال : مش قادر أفهم ليه دايماً المحامي العام مستعجل قوي!!

أحس جرجس وقتها أن ناراً تشتعل في جسده فلماذا هو بالذات من يُختار لهذا الأمر؟ لماذا يكتب هو هذا الأمر؟ أمر مد حبس زميله فايز، وأي زميل؟ إنه الذي يرجو الارتباط بابنته، والغريب أنه حاول أن يعتذر لغنيم بشتى الحجج إلا أن الأخير كان مصراً بشكل عجيب، وكأنه يريد إبعاده عن نيابة المنتزة في هذا اليوم بأي شكل، وكان ممسكاً بملف القضية يضمها إلى صدره بحرص شديد كأم تخشى على وليدها موته.

وهناك في النيابة الكلية وجد فايز ميشيل واقفاً أمام باب مكتب السيد الأستاذ رئيس النيابة الكلية رفقة الحراسة اللازمة و... وخفق قلبه بشدة عندما شاهدها تقف بجوار والدها مرتدية روب المحاماة الأسود تستعد لحضور جلسة تجديد الحبس أمام رئيس النيابة. وازدادت حرارة النار في قلبه ولم يدرِ ماذا يفعل؟ كان يود في هذه اللحظة لو وقف معها على انفراد؛ ليشرح لها أنه ليس إلا مجرد قلم في يد رئيس النيابة، وأن قلبه يتمزق من أجلها ومن أجل أبيها، ولكن لعلها تفهم ذلك، وتقدر موقفه، إنها محام وتعرف القانون جيداً، وتعرف أنه ليس بيده أية حيلة حيال هذا الموقف، ومع ذلك لمح في عينيها دهشة لرؤيته كان لها تأثير ألف رصاصة في قلبه وعقله.

مد يده يسلم على فايز وعليها، فأحس ببرودة سلامها، وقال له فايز:

– أهلاً جرجس .. أخبارك إيه؟

سأله بدوره:– أخبارك أنت إيه؟

ثم خفض بصره، وقال : صدقني أنا ما كنتش أحب أحضر الجلسة دي، وأكتب محضرها بايدي و ....

قاطعه فايز بقوله : ولا يهمك .. وأنت ذنبك ايه؟

تمنى جرجس أن يكون رأي مادلين كرأي والدها الذي استطرد بقوله : – انت موظف في النيابة وبتؤدي واجبك.

ثم قالت مادلين : – عن إذنكم.. حشتري قلم.

أجابها والدها: اتفضلي يا حبيبتي.

تركتهما وذهبت، وتابعها جرجس ببصره حتى اختفت وسط الزحام الذي تتميز به النيابة من أهالي ومحامين ومتهمين وأفراد شرطة بخلاف الموظفين والموظفات.

وقال فايز محدثاً جرجس: الذنب ذنبي أنا !! أنا اللي عملت في نفسي كدة، ووصلت نفسي للموقف ده.

اندهش جرجس لهذه الصراحة المفاجئة، ولم يعلق فأكمل فايز:–

– لما اتعينت في النيابة من حوالي سبعة وعشرين سنة كنت عامل زي القطة المغمضة.. وكان كل اللي حواليا وحوش وعتاولة ومعلمين كبار.. وكانوا بيتريقوا علي ويسخروا مني وكأني عيل صغير.. حسيت كمان إن الرؤساء بيحترموا الحرامية !! بيحترموهم أكتر من الموظف النضيف! شوية شوية حبيت أثبت لهم إن أنا كمان جدع، وجدير باحترامهم فابتديت أتعلم الشغل الوسخ واحدة واحدة .. والموضوع ابتدا بجنيه واحد! أيوة مائة قرش فقط لا غير، والجنيه جر جنيه جر عشرة.. عشرين.. مائة، وادِيني آهو بجني ثمار الغلط اللي وقعت نفسي فيه.

سكت قليلاً .. منتظراً أي تعليق من جرجس إلا أن الأخير بقى صامتاً كصمت القبور، ولم يشأ أن يعلق، فأكمل فايز:

– صدقني أنا معرفش إيه اللي خلاني أقول لك إنت بالذات الكلام ده .. لكن أنا كنت محتاج اتكلم وأزيح من على صدري.. خللي بالك مادلين بنتي ما تعرفش الكلام ده خالص.. المسكينة متهيألها إني اتحبست ظلم.

ثم أضاف ساخراً : فاكرة إنهم حبسوني عشان مسيحي !!

قال جرجس معلقاً: ناس كتير فاكرة كدة.

حول فايز دفة الحديث، وقال : مادلين بنتي خادمة في الكنيسة، مسؤولة عن خدمة الملائكة.

سأله جرجس: خدمة الملائكة؟

أجابه فايز: أيوة خدمة الملائكة دي يعني خدمة الأولاد الصغيرين اللي في الحضانة، حضانة الكنيسة، وصبحي ميخائيل زميلنا ما هو أمين الخدمة في نفس الكنيسة.

ابتسم جرجس، وقال بعد دقيقة من الصمت:

– أستاذ فايز .. فيه حاجة مهمة عايز أقول لك عليها..

نظر إليه فايز في تساؤل، فأكمل جرجس :– أنا .. أنا باطلب إيد مادلين.

النوة

جز غنيم على أسنانه غيظاً، فهل يضطر مرة أخرى لتأجيل تنفيذ مخططه الإجرامي؟ أبعد أن نجح بتوفيق شيطاني أن يبعد جرجس عن النيابة، ووضع خطته الشيطانية لسرقة ملف القضية، قضية شركة الإسكندرية الجديدة، من دولاب الأخير تأتي الرياح بما لا تشتهيه سفنه، فيتذكر المحامي العام فجأة أن يقسم النيابة إلى نيابتين اليوم.. نعم اليوم وليس غداً؟!

ثم استدعى كلاً من صبحي ومصطفى ليبدأوا ما طُلب منهم، وكانت الخطوة الأولى أن يقوموا بتجميع ملفات القضايا كلها من دواليب الموظفين من كتاب التحقيقات، وفرزها حسب ضوابط الاختصاص الجنائي المنصوص عليها في المادة "٢١٧" من قانون الإجراءات الجنائية، وهي لمن لا يعرف ثلاثة ضوابط وهي المكان الذي وقعت فيه الجريمة، أو محل إقامة المتهم، أو المكان الذي ألقي فيه القبض على المتهم. وهو عمل شاق ومضنٍ جداً، ويحتاج إلى أسبوعين على الأقل. ومع ذلك فالمحامي العام يريد إنجازه اليوم وكأن الدنيا ستطير أو طارت

فعلاً. وكيف سيستطيع أن يسرق ملف القضية المنشودة، وهو برفقة زميليه مصطفى وصبحي وعيونهما بالتأكيد ستراقبه.

كانت دائرة المنتزة نفسها قد انقسمت إلى قسمين، قسم أول المنتزة وتمتد حدوده من شارع الإقبال بمنطقة فيكتوريا حتى شارع ٤٥ بمنطقة العصافرة، وقسم ثان المنتزة ويبدأ من شارع ٤٥ حتى منطقة أبي قير بشرق الإسكندرية، ولم يكن غنيم يعرف حتى هذه اللحظة من سيكون رئيساً للقلم الجنائي للنيابة الجديدة الوليدة؟ ومن سيكون مديراً لها؟ والأهم هل سيكون هو رئيساً للقلم الجنائي لأي من النيابتين أم سيعود موظفاً عادياً؟ وماذا عن قضية الإسكندرية الجديدة التي ينشد اختلاسها؟ إلى أي نيابة ستذهب؟ وهبط الليل سريعاً في ذلك اليوم البارد من أيام ديسمبر، وهطلت الأمطار غزيرة في انحلال كبير لخيوط السماء، مكونة لبرك ومستنقعات في جميع شوارع الإسكندرية، حتى لا يكاد المرء يفرق بين البحر وشارع البحر!، وخلت النيابة من الجميع فلم يبق إلا الثلاثة فساد هدوء محبب إلى النفس لا يقطعه إلا صوت هطول الأمطار.

ما زال غنيم وصبحي ومصطفى يعملون وأمامهم عشرات القضايا يفرزونها كما أمرهم رئيس النيابة. وها هي قضية شركة الإسكندرية الجديدة ظهرت أمام غنيم لا يفصله عنها إلا عشرين

سنتيمترًا. ولكن ماذا يفعل؟ كيف يقنع صبحي ومصطفي بمغادرة الحجرة الآن؟.. نعم كيف؟

" حضرت مع المتهم الأستاذة مادلين فايز ميشيل، وطلبت إخلاء سبيله بأي ضمان تراه النيابة العامة وذلك تأسيساً على انتفاء مبررات الحبس الاحتياطي، فللمتهم محل إقامة ثابت ومعلوم ولا يُخشى من هربه، ولا يمكن تصور إضراره بمصلحة التحقيق، كما دفعت بكيدية الاتهام وتلفيقه .

لذلك

قررنا "استمرار حبس المتهم خمسة عشر يوماً احتياطياً تبدأ من نهاية حبسه السابق، ويراعى له التجديد في الميعاد القانوني "

"ما تقوموا تشتروا لنا أكل نتعشى بيه يا جماعة "

قالها غنيم لزميليه صبحي ومصطفى، فقال صبحي : لا أنا مش جعان.

وقال مصطفى : احنا خلاص قربنا نخلص كلها ساعة ونروح بيوتنا.

قال غنيم : ساعة إيه يا مصطفى؟ ده احنا قدامنا سهرة للصبح.

رد مصطفى بعصبية : صبح إيه يا ريس.. لا لا احنا تعبنا .. نكمل بكرة إن شاء الله.

قال غنيم مقلداً صوت شحاتة بك وأسلوبه : بكرة!! لا لا المحامي العام مستعجل قوي.

وقال صبحي : وحتى ولو قعدنا وأكلنا، مين يقدر ينزل يجيب أكل في الشتا ده؟

أجابه غنيم : انت كدة بتضيع وقت .. القعدة لسة حتطول والمحلات والمطاعم حيقفلوا، ولو مش جعان دلوقتي كمان شوية حتجوع.

قال مصطفى : خلاص يا صبحي .. الريس عنده حق .. تعالى ننزل سوا نجيب أكل.

ابتسم غنيم، وقال في سعادة : برافو يا مصطفى.. هو ده الكلام، يلا انزلوا بسرعة قبل المحلات ما تقفل.

قام مصطفى ومعه صبحي، وتوجها ناحية الباب، وسأل مصطفى : تحب تاكل إيه يا أستاذ غنيم ؟

أجابه غنيم : أي حاجة .. أي حاجة .

لم يتم قوله حتى انفتح الباب، ودخل نصير العسكري، وبدا وكأنه خرج من أعماق البحر لتوه، وكان ممسكاً بكيسين كبيرين مملوئين بالسندويتشات وأكياس الشيبسي وعلب المياه الغازية.

وقال له صبحي : ياه ده انت غرقت من الشتا .. بس والله تُشكر .. ريحتنا.

انفجر غنيم غيظاً، وبدا وكأن القدر والعناية الإلهية يعاندانه، وقال وهو في منتهى الاستفزاز :- تعبت نفسك ليه يا نصير؟ ما كانوا نازلين يجيبوا أكل.

أجابه نصير باسماً : - شحاتة بك بعتني أجيب لكم أكل.

و لم يدرِ غنيم ماذا يفعل؟ أو ماذا يقول؟

مرة أخرى يتدخل شحاتة بك رئيس النيابة بغير قصد ليفسد عليه مخططه.

وتساءل غنيم في دهشة ممزوجة بغضب: هو لسة شحاتة بك قاعد في النيابة؟

أجابه نصير: لسة نازل من شوية، وادانى فلوس وقال لي انزل أجيب لكم أكل.

قال مصطفى: والله فيه الخير.

قال غنيم بخيبة أمل: أيوة معاك حق !

ثم تركوا القضايا جانباً، وجلس الأربعة غنيم وصبحي ومصطفى ونصير حول منضدة موضوعة في منتصف الحجرة، وبدأوا يأكلون، وبعدما فرغوا من الأكل، قام نصير بإعداد الشاي على السخان الكهربي الخاص به. وتوقف المطر قليلاً.

وبدا لغنيم أنه لن يفلح اليوم في اختلاس ملف القضية اللعينة. ولكنه لم ييأس فقال لرفاقه : الحلو .. نسيتوا الحلو .. عايزين نحلي!!

قال صبحي في عصبية : نحلي إيه يا عم غنيم ؟ عايزين نخلص في ليلتنا السودا دي !!

كانت هذه هي المرة الأولى التي يخرج فيها صبحي عن بروده الشهير، ويتكلم بهذه العصبية.

قال غنيم : آهي فرصة المطر وقف، والجو بقى جميل انزلوا هاتوا لنا كيسين فاكهة على حسابي، وأنا هاقعد هنا أكمل شغل لغاية ما ترجعوا .

نظروا لبعض ثم قال نصير : خليكم انتم، وأنا أنزل أجيب الفاكهة.

قال غنيم : لا لا حرام انت تعبت خليهم هما ينزلوا، واستنى انت برة.

قال مصطفى : فعلاً الريس عنده حق.

ثم قام مصطفى وصبحي، واستعدا للنزول للشارع، وقبل أن يخرجا هطلت الأمطار مرة أخرى بغزارة شديدة تفوق المرة الأولى، وكأن ينابيع الغمر قد انفتحت، فعدلا عن النزول، وبقيا مع غنيم لإنجاز العمل الموكل إليهم.

وضحك صبحي، وقال مشيراً للسماء عبر النافذة : أصلها نوة. وكاد غنيم أن ينفجر فعلاً.

تنتشر في المنشية خلف المحكمة في الشوارع الفرعية الضيقة عربات الفول، ويلتف كل صباح حولها الطاعمون من موظفي المحكمة، والمحامين، وأمناء وأفراد الشرطة، وأصحاب الحوانيت والعاملين بها، ينهلون جميعاً من الإفطار الرسمي المصري من أطباق الفول المهروس بالطحينة، والزيت، والليمون، والفلفل الأسود، والكمون، والملح، والبصل، والخبز البلدي الأسمر، والمخلل بأنواعه من الجزر واللفت وغيرهما، والطعمية الساخنة (أو الفلافل كما يسمونها في الإسكندرية)، والبيض المسلوق، والطماطم، والخيار، يتبادلون الحديث أثناء الأكل فتتناثر بقايا ما يلوكونه من ذلك الطعام أثناء الكلام، ولا يعبأون بالذباب وسائر الحشرات الطائرة والزاحفة حول الأطباق.

أما وكلاء النيابة والقضاة فهم يستكبرون الاشتراك في حفلة الإفطار هذه في الشارع أمام الناس، رغم أن رائحة الفول والطعمية الساخنة تغريهم، ويسيل لها لعابهم، فيتغلبون على ذلك بإرسال الحاجب أو الكاتب لشراء ما يُسكتون به صراخ بطونهم.

وكـان مـن عـادة جـرجس وبطـرس كـل صـباح أن يتنـاولا إفطارهمـا أمـام إحـدى عربـات الفـول هـذه، وذلـك بعـد قيـامهم بالواجب الحكومي المقدس وهو التوقيع في دفتر الحضور أمام غنيم رئيس القلم الجنائي.

وفي ذلك الصباح الشتوي البارد، ومع تلك الغيوم التي تنذر بيوم ماطر جديد، التقى جرجس ببطرس دون اتفاق عند عربة الفول، وبدأ بطرس الحديث بقوله:- لسة زعلان مني؟

لم يرد عليه جرجس، فقال بطرس : يبقى انت زعلان .. صدقني أنـا مـا كـانش قصـدي أزعلـك.. وفـي جميـع الحـالات فـايز كـان حياخـد اسـتمرار حـبس.. وأنـت مـالاكش ذنب...احنـا يـا حبيبـي مجرد كتبـة لا لينـا فـي الطـور ولا فـي الطحين. لا بايدينا نخلـي سبيل حد ولا بايدينا نحبس حد. وفايز نفسه موظف قديم، وفاهم كدة، وكل الناس فاهمة كدة.

تنهد جرجس، وقال: لا أبداً أنا مش زعلان ولا حاجة.. أنا امبارح قبل جلسة تجديد الحبس، طلبت من فايز ايد مادلين.

اتسـعت عينـا بطـرس، وقـال: معقـول.. كـدة بسـرعة؟ ووالـدتك وافقت؟

هز جرجس رأسه نفياً، وقال:- أنا لسة ما قلتلهاش على الخطوة دي.

قال بطرس محذراً :- جرجس يا حبيبي انت كدة اتسرعت، ومش معقول تتحدى والدتك، وتعمل حاجة مش راضية عنها.

رد جرجس في ثقة:- أنا أكيد حقنع أمي.

سأله بطرس:- وهو قال لك إيه؟

أجابه جرجس:- فرح، ورحب جداً، وقال لي أنه أكيد حيقول لها.

ثم أنهيا إفطارهما، وقاما بدفع الحساب، وقال بطرس : تعالى نكمل كلامنا على القهوة.

لم تمضِ دقائق حتى كان مقهى "صابر" المواجه للمحكمة يحتويهما، وجاء إليهما النادل الذي يعرف طلبهما الصباحي وهو الشاي، فوضع الكوبين دون أن يسألهما!

وسأل بطرس صديقه بعد أن تركهما النادل: وتضمن منين إن مادلين نفسها حتوافق؟

سكت جرجس قليلاً، ثم أجاب: أكيد حتوافق.. هي حتلاقي حد أحسن مني!!

زفر بطرس، وقال: إيه الثقة في النفس دي كلها؟ جرجس يا خويا إوعى في يوم من الأيام تبقى مغرور، وخللي بالك إن البنات ليهم دماغ تانية غير دماغنا احنا.

قال جرجس غاضباً: أنا مش مغرور يا بطرس، وما اسمح لكش تقول عليَّ كدة.

رفع بطرس كفه أمام جرجس، وقال: خلاص.. خلاص.. حقك عليَّ أنا اللي مغرور!

ثم ارتشف من كوب الشاي الموضوع أمامه، بعد أن أفرغ السكر الموضوع في السكرية كله، وأذابه بالملعقة، ثم قال مستطرداً:

– دلوقتي خلينا في المهم.. أنت عرفت الأخبار الجديدة؟

نظر له جرجس في قلق، وسأله : – أخبار إيه؟

أجابه بطرس : نيابة المنتزة اللي بنشتغل فيها اتقسمت لنيابتين، منتزة أول، ومنتزة ثاني.

قال جرجس: أنا كنت سامع الموضوع ده من زمان.. لكن أنت مين اللي قال لك؟

أجابه: مصطفى زميلنا قابلته في النيابة، وحكى لي إنه امبارح بالليل سهر في النيابة هو وصبحي وغنيم رئيس القلم، وقعدوا يفرزوا القضايا حسب اختصاص كل نيابة.

سأله جرجس : وإيه وضعنا احنا كموظفين؟

مط بطرس شفتيه قائلاً : معرفش بس أكيد حيوزعونا على النيابتين.

قال جرجس: يا ترى مين حيروح منتزة أول؟ ومين حيروح منتزة ثاني؟

رد بطرس : يا خبر بفلوس كمان شوية حيبقى ببلاش.

وبدأت الأوجاع

خرجت زوجة أحمد حداد مع طفليها؛ لزيارة قريبة لها، وتركت زوجها وحيداً في المنزل، وكانت حالته النفسية سيئة بعدما شاهد ما احتواه القرص المدمج الذي أعطاه إياه الرائد حسام..

لقد انتهز فرصة خروج زوجته والطفلين؛ ليجلس إلى حاسبه الآلي، ويضع القرص، ويضغط زر التشغيل، ويرى ويسمع بنفسه فضيحة لو انتشرت وشاعت لمات كمداً من أثر الافتضاح، وانهار معه كبرياؤه، وصار ذليل الأنفاس، مختبئاً من الناس.

ألهذا الحد بلغ جهاز أمن الدولة من إمكانية الوصول لأدق التفاصيل في حياة الناس؟ يصورونه، ويسجلون بالصوت والصورة اتفاقاً على الارتشاء لقاء حفظ إحدى القضايا المتهم فيها أحد الكبار...

لقد ضمن حسام بذلك أنه صار خاتماً في إصبعه، أو بيدقاً يحركه كيفما شاء، وإلا...

قطع أفكاره رنين هاتفه الخلوي، فوجد رقم رئيس النيابة فضغط الزر، وقال :

– آلو.. أهلاً شحاتة بك..

– أهلاً أحمد بك .. مال صوتك؟.. إنت مريض؟

– لا .. لا أبداً.

وقد كان أحمد مرتبكاً بسبب تلك المكالمة، لا يدري لماذا، وكأن شحاتة بك يجلس معه في ذات الحجرة، ويرى معه شاشة الحاسب وما تعرضه، فسارع بغلق الحاسب وإخراج القرص، وقال مكملاً حديثه بعد أن وضع القرص في درج المكتب وأغلقه:

– أنا كويس..

جاءه صوت شحاتة بك قائلاً:– على كل حال.. أنا حبيت أبلغك إن النيابة اتقسمت نيابتين، أول المنتزة وثاني المنتزة، ومبروك عليك بقيت مدير أول المنتزة.

شعر أحمد بدرجة حرارة جسمه ترتفع عقب سماعه ذلك، واختلطت بداخله المشاعر فلم يدرِ أيفرح؟ أم يخاف من المستقبل؟ أم...

جاءه صوت شحاتة بك قاطعاً لأفكاره مرة أخرى :– إيه مالك يا أحمد بك؟.. أنت مش عايز تبقى مدير نيابة أول المنتزة؟! لو مش عايز بلاش.. أنا ممكن أرشح واحد غيرك.

انتبه أحمد وقال:– هه.. لا.. أبداً .. ده شرف لأي حد..قصدي شرف لي إني أنال ثقتك يا باشا.

قال شحاتة بك:- عظيم .. إن شاء الله بكرة الصبح تفوت عليَّ في المكتب عشان نوزع الموظفين على النيابتين، ونشوف حنعمل إيه.

جلس جرجس على مقعده في غرفة التحقيق مع محمود بك الذي يعتبره أستاذه ومثله الأعلى، وكان جرجس واجماً، فسأله محمود بك :

- مالك؟

لوح جرجس بيديه وقال:- مصيبة وحلت على دماغي!

عاد محمود بك بظهره للوراء، وقال متسائلاً في انزعاج:- يا ساتر يا رب.. مصيبة إيه؟

أجابه جرجس:- في توزيع الموظفين.. بقيت موظف في منتزة أول.. و كنت أحب أكون في منتزة ثاني.

سأله محمود بك في دهشة:- وإيه الفرق؟

أجابه جرجس- فرق كبير.. سيادتك ما عرفتش مين بقى مدير نيابة أول المنتزة؟.. أحمد بك حداد.. و أنا الراجل ده بكرهه.

ضحك محمود بك، وقال : - وهو حيعيش معاك العمر كله؟.. هي سنة بالكتير، ويسيب النيابة ويبقى قاضٍ.. وبعدين لازم تعرف إن كل وظيفة أو مهنة فيها المحترم وفيها غير المحترم.. فيها الصالح وفيها الطالح.

قال جرجس: وأعمل إيه لو بقيت سكرتيره بعد ما الأستاذ صبحي بقى موظف في منتزة ثاني؟

طمأنه محمود بك بقوله:- ما تخافش.. أنا لسة معاك ومش حسيبك في منتزة أول.. وما حدش يقدر يغلس عليك، ويقول لك تلت التلاتة كام طول ما أنت سكرتيري.. إنت ولد محترم.. وأنا ما استغناش عنك.

ابتسم جرجس، وقال وقد تهدج صوته، وكاد أن يبكي من فرط الانفعال: - صحيح؟ أشكرك يا محمود بك.. أشكرك.

قال محمود بك : - دلوقتي خلينا في المهم.. عايزين نشوف القضايا اللي كنا ابتدينا نحققها وأصبحت اختصاص منتزة ثاني، ونشوف القضايا الجديدة اللي حتتعرض علينا.. باختصار عايزك يا جرجس تعمللي كشف بكل القضايا اللي حتبقى في الدولاب اعتباراً من اليوم.

قال جرجس في حماس :- حاضر.. هي كل القضايا والحمد لله سهلة.. وأهم حاجة إن قضية الاختلاس بتاعة شركة الإسكندرية الجديدة بقت اختصاص منتزة ثاني.. دي كانت قضية كبيرة وغلسة، والحمد لله إننا خلصنا منها.

سأله محمود بك في فرح : - حقيقي القضية دي غارت في داهية؟! الحمد لله.

ثم استطرد : – أنت عارف يا جرجس.. احنا ربنا بيحبنا احنا الاتنين ...عارف ليه؟

سأله جرجس : – ليه؟

أجابه محمود بك : – حقول لك بس ده سر بيننا.

اعتدل على مقعده، وقال مستأنفاً حديثه : – ناس كتير جداً كلموني على القضية دي بالذات عشان أتصرف فيها تصرف يخالف ضميري، بس أنت طبعاً عارفني .. لا أحب الوسايط، ولا أحب الكوسة.. و طول عمري ماشي زي الألف. بس الحمد لله .. الحمد لله.

ولم يشأ محمود بك أن يخبر جرجس أن بعض هؤلاء قد وصل بهم الأمر إلى توسيط المستشار حبيب شوقي عمه لحمله على حفظ الأوراق، أو على الأقل استبعاد بعض المتهمين فيها من دائرة الإتهام، وقد واجه محمود بك كل ذلك بالرفض، الأمر الذي دفع عمه لحد وصفه بالغباء الشديد!

قال جرجس: – الفساد والإرهاب وجهان لعملة واحدة.. أو تقدر تقول أنهم حاجة واحدة.

قالها، وبدأ في إعداد الكشف الذي طلبه محمود بك.

استدعى أحمد حداد في مكتبه الأستاذ غنيم، وقال الأخير:- مبروك يا باشا.. احنا النهاردة اتأكدنا إن ربنا بيحبنا إنك بقيت مديرنا أي والله.

قال أحمد: أشكرك.. أنا يا أستاذ غنيم اخترتك تبقى رئيس قلم نيابة أول المنتزة.. لأني عارف أخلاقك وانضباطك..أنت راجل خدمت العدالة كتير جداً من يوم ما اتعينت(!!!)، وأنا أحب إنك تنهي حياتك الوظيفية هنا معانا.. انت مش برضه قربت تطلع معاش؟

أجابه غنيم : آه خلاص فاضللي ستة أشهر وأطلع معاش، وربنا يكرمنا إن شاء الله.

قال أحمد: على خيرة الله، دلوقتي عايزين نوزع العمل على موظفي النيابة.

ثم سكت لنصف دقيقة ثم قال:- جرجس وبطرس حيبقوا مسؤولين عن جلسات الجنح أيام الثلاثاء والخميس من كل أسبوع على الترتيب، ده إلى جانب أعمالهم المسندة إليهم من التحقيقات مع وكلاء النيابة، وكمان حيكونوا مسؤولين عن أعمال قيد القضايا في جداول الجنح والمخالفات من الألف للياء يعني من ساعة ما المحضر ييجي من القسم لغاية ما يصدر حكم

المحكمة ويتكتب الحكم في الجدول وما يستتبعه ذلك من تحرير الشهادات لذوي الشأن!!!

ارتفع حاجبا غنيم، وقال في دهشة:- دول كدة يبقوا مسكوا شغل النيابة كله.. ومش هيروحوا بيوتهم قبل اتناشر بالليل كل يوم.

قال أحمد في برود قاتل: ده لصالح العمل.

سأله غنيم: وبقية الموظفين هيشتغلوا إيه؟

أجابه أحمد بسؤال غاضب: جرالك إيه يا أستاذ غنيم؟ هو الشغل خلص؟ لسة فيه شغل التنفيذ، وبقية الدفاتر، وشغل التحقيقات مع بقية الوكلاء، غير بقية الجلسات، غير الأرشيف، ومخزن النيابة.

قال غنيم: بس كدة الشغل هيبقى كتير على جرجس وبطرس و...

قاطعه أحمد في عصبية : اللي باقوله يتنفذ.

ما إن علم جرجس بتوزيع العمل الجديد المفجع هذا حتى تجاسر، ودخل مكتب أحمد حداد، وهو في منتهى العصبية، وأكد لزملائه أنه لن يسكت هذه المرة كما يفعل دوماً إذ لا بد من المواجهة، وعبثاً حاول بطرس إقناعه بالعدول عن المواجهة، وإثنائه عن الثورة، وهو منهار الأعصاب حاد الأنياب، إلا أنه كان حانقاً مغتاظاً، وقد جاش مرجل غضبه. .

وكثير من الموظفات والموظفين فعلوا كما فعل بطرس، إلا أنهم فشلوا جميعاً في تهدئة جرجس الذي اقتحم مكتب أحمد بك حداد، ودخل وراءه الأستاذ غنيم وبطرس في محاولة أخيرة يائسة لتلطيف الأجواء و تهدئة الأنواء.

و ما إن رأى جرجسُ أحمدَ أمامه يجلس خلف مكتبه حتى بادره بالقول في عصبية شديدة، وتهور أحمق غير محسوبة عواقبه:

– إيييييه.. هو مفيش غير أنا وبطرس في أم النيابة.. عشان نشتغل الشغل ده كله.. إنت عايز تحبسنا ولا إيه؟

وتوقع غنيم وبطرس أن يكون رد فعل أحمد حداد عنيفاً إزاء ثورة جرجس، إلا أنهما فوجئا برد فعل هادئ جداً كبركة راكدة بعد أن تصوراه بحراً هائجاً؛ إذ قال أحمد في هدوء قاتل، وابتسامة أنثوية صفراء:– أيوة أنا عايز أحبسك!!

اشتعل الغضب في نفس جرجس أكثر وأكثر، وارتفع ضغط دمه، واحمر رأسه حتى بدا كقطعة فحم مشتعلة فوق نارجيلة أحد المساطيل.

ثم نظر أحمد لغنيم، وقال له مشيراً لجرجس وبطرس:– اطلع دلوقتي يا أستاذ غنيم، وخد في إيدك جوز الحمير دول.

قال عبارته الأخيرة في هدوء غريب وبرود مريب، وكأنه يتفوه بكلام طيب لا بشتائم غير لائقة بمنصبه ومن يمثلهم، وكأنه نسى أنه محامي الشعب. تماماً مثلما نسى أشياءً كثيرة.

جمعت حجرة غنيم رئيس القلم كلاً من غنيم وجرجس وبطرس عقب خروجهم من حجرة أحمد حداد، وقال جرجس :- اشمعنى احنا اللي نمسك الشغل ده كله؟

مط غنيم شفتيه، وقال :- والله ماعرفش.. أنا كلمته، وقلت له حرام عليك كدة، بس هو مُصِر.

قال بطرس:- طب ما يسند الجلسات لأي واحدة ست من الموظفات.

نظر له غنيم وقال في دهشة واستنكار :- انت عايز ستات يمسكوا الجلسات؟؟!

سأله بطرس:- وفيها إيه؟

ضحك غنيم، وقال :- لا لا ما ينفعوش ببصلة!!

شاركه جرجس الضحك، ولكنه ضحك مرير، وقال :- طب ما تعتبرنا ستات!!

ضحك غنيم وبطرس، وكان ضحك بطرس أليماً، أشبه بالبكاء الحزين، وعاد بطرس يسأل: لكن ليه الستات ما ينفعوش يبقوا كُتَّاب جلسات؟

أجاب غنيم :- ححكيلكم حكاية قديمة ودمها خفيف!!

انتبها إليه وتركاه يروي:

" زمان كان فيه واحدة ست زميلتنا اسمها مدام رضوى.. ربنا يديها الصحة، طلعت معاش من حوالي عشر سنين.. الست دي كانت ماسكة جلسة هنا في نيابة المنتزة، وجلسة جنح.. والحقيقة كانت ست بميت راجل.."

توقف غنيم عن الاسترسال، فسأله جرجس في فضول:- وبعدين؟

استأنف غنيم حديثه :- " وفي يوم كان عندها جلسة، وأثناء انعقاد الجلسة، وهي قاعدة جنب القاضي..."

سكت مرة أخرى، فقال جرجس وبطرس في نفس واحد :- هاااه.

ابتسم غنيم، وقال :- " الظاهر كان عندها دور برد شديد جداً، فاستخدمت كمية مناديل ضخمة جداً أثناء الجلسة.. لحد ما المناديل خلصت منها، راحت جابت ورقة صغيرة، وكتبت عليها (عايزة منديل)، واديتها للحاجب عشان يجيبلها منديل"

ضحك غنيم وهو يتكلم، وقال بعد قهقهة استمرت دقيقة:- " راح الحاجب الغبي مسك الورقة، وقال بأعلى صوته في القاعة: - [عايدة قنديل]..[عايدة قنديييييل]..ولما ماحدش رد عليه بص للقاضي، وقال:- عايدة قنديل لم تحضر يا باشا!!!

ضحك بطرس وجرجس كما لم يضحكا من قبل، وقال بطرس :- وبعدين حصل إيه؟

أجابه :- " القاضي استشاط غضباً، وقال له :- مين يا بني عايدة قنديل دي؟ راح الحاجب قال له :- مدام رضوى كتبت اسمها في ورقة واديتهالي، المسكينة وشها جاب ألوان، وقالت :- أنا كاتبة (عايزة منديل) مش (عايدة قنديل)، فالقاضي قال :- الله يخرب بيوتكم انتو الاتنين .. على بيت المناديل.. على بيت اللي عايز يشتغل الشغلانة دي، وراح رافع الجلسة، وكتب مذكرة طلب فيها تغيير السكرتيرة بواحد يكون راجل "، ومن ساعتها والستات ما بتمسكش جلسات.

قال جرجس :- لا بس القاضي كان تصرفه مبالغ فيه جداً الموقف ده ممكن يقع فيه أي راجل..

نظر له غنيم، وقال بعد فترة من الصمت :- ما تستعجلش بكرة تتعدل.

وقف الأستاذ غنيم وفكري المحامي أمام قلعة قايتباي بالإسكندرية وقت غروب الشمس، وكان المكان خالياً تقريباً؛ نظراً لبرودة الطقس، واحتمال سقوط الأمطار، وقال فكري :- هاه إيه الأخبار؟.. أظن احنا ادينالك وقت كفاية.

أجابه غنيم:- الأخبار زي الزفت؛ الموضوع اتعقد يا فكري.

سأله فكري في انزعاج:- يعني إيه؟

أجابه غنيم:- القضية راحت نيابة منتزة ثاني، وأنا بقيت رئيس قلم منتزة أول.. يعني مش تحت إيدي.

قال فكري في عصبية:- يا نهارك أسود.. ده أنت لاهف خمسين ألف جنيه.. أنت عارف الباشا بتاعنا ممكن يعمل إيه؟

قال غنيم في توتر، وقد وضع كفه على صدره:- كل مشكلة وليها حل، وخللي بالك أنا راجل صاحب عيا ومش حمل توتر وتعب أعصاب.

سأله فكري:- ومين رئيس قلم منتزة ثاني دلوقتي؟

أجابه غنيم:- الأستاذ مصطفى اللي كان سكرتير شحاتة بك رئيس النيابة.

جلس فكري على سور البحر، وضرب ركبتيه بكفيه، وقال:- أهلاً.. مصطفى عبد الحميد.. مالاقوش غيره.. الراجل المعقد اللي ما بياخدش قلم رصاص من أي محامٍ.

ثم نظر لغنيم، وقال:- اسمع.. القضية دي لو ما عرفتش تجيبها.. حتطير فيها رقاب.. يا إما يا حلو ترجع الخمسين ألف جنيه، وأنا كدة أبقى خلصت ضميري قدام ربنا!!!

البدروم

"غلط يا جرجس اللي انت عملته.. غلط". قالها محمود بك في عصبية لم يتعودها عند حديثه مع جرجس، وقال متابعاً في نفس العصبية: – ما حدش يكلم مدير النيابة بالشكل ده. وجم جرجس ولم يتفوه بكلمة، وكان بطرس موجوداً في ذات الغرفة جالساً على الأريكة المقابلة لمكتب محمود بك، وقال بطرس موجهاً حديثه لمحمود بك:– والله يا باشا حاولت أقنعه يهدأ، ويخليها على الله، وكل شيئ هيتحل.. لكن لقيته عصبي جداً.

نظر جرجس لبطرس في غيظ، ولم يعلق، وقال محمود بك :– احمد ربنا أنه ما حطش الكلابشات في ايديك.. أنا دلوقتي بوبخك عشان بحبك وخايف عليك.. ما تعملش كدة تاني؛ لأن مش كل مرة تسلم الجرة.

قال جرجس:– ويعني يا باشا عاجبك اللي عامله ده؛ يسند لي جلسة الثلاثاء غير شغل التحقيق مع حضرتك غير جدول الجنح.. ده معناه أعيش في النيابة، وأنسى بيتي وأمي وأنسى حياتي كلها.

قال بطرس ضاحكاً:- أنا بقول نبعت نجيب السرير، والبيجامات بتاعتنا، وبالمرة الغيارات الداخلية، ونعزل هنا في قلب المحكمة.

قال جرجس لبطرس منفعلاً:- لو سمحت يا بطرس.. مش وقت هزار خالص.

أما بطرس فقد قال لمحمود بك في جدية:- بجد يا ريس ما تكلمه يخف الشغل من علينا.. اشمعنى حسني أخده سكرتير ليه، وما أسندش ليه أي عمل آخر.

قلب محمود بك كفيه، وقال:- أنا مفيش في ايدي حاجة أقدر أعملها.. هو مدير النيابة.. وتوزيع العمل سلطة تقديرية له.

قال جرجس:- هو مش ده يعتبر تعسف في استعمال الحق؟.. أنا قريت الكلام ده في كتاب شرح القانون المدني اللي على مكتب حضرتك.

نظر محمود لجرجس في اعجاب، وقال:- فعلاً المادة الخامسة من القانون المدني بتعتبر اللي عمله أحمد بك حداد تعسف في استعمال الحق، بس لو شاطر تعرف تثبت ادعاءك.

ثم قال مستطرداً:- الحل الوحيد.. إنك بكرة الصبح تدخل تعتذر له، وتحاول تسايس أمورك معاه، وتقنعه إنك مش حتقدر تشتغل الشغل ده كله لوحدك، أنت وبطرس.

في هذا اليوم اشتدت برودة الجو، وازدادت الغيوم، ولم تمض دقائق حتى بدأت الأمطار تنهمر، ولم يكن هناك مفر من هذه البرودة إلا اللجوء للدفء في بدروم المحكمة، وهو دور تحت الأرض به حجرة الحفظ، ومخزن النيابة الذي تودع به بعض الأحراز المهمة على ذمة الفصل في القضايا، ومقصف آخر غير مقصف عبد العزيز لا يعرف الكثيرون عنه شيئاً، يديره عوف لحسابه الخاص! ومتى حلَّ شهر رمضان المعظم تجد البعض من غير الصائمين يتناولون فيه الشاي والقهوة، ويدخنون السجائر، يعمدون إليه باعتباره مقصف البدروم الذي لا يراه أحد، وبالتالي لن يُفتضحَ أمرهم، وتظل صورتهم أمام الناس (خصوصاً أمام المسيحيين) ناصعة لحفاظهم على فريضة الصوم! كما يستضيف هذا المقصف الموظفين المسيحيين- في شهر رمضان- الذين يخجلون من الأكل والشرب أمام زملائهم المسلمين حرصاً على مشاعرهم، فإذ بهم يلتقون جميعاً عند عوف في مقصفه!! ، وفي هذا اليوم نزل حمدي (صبي جابر عثمان) إلى البدروم ليلتقي بابن خالته عوف، وكان حمدي شاباً طويل القامة، نحيف البنية، يشع وجهه غباءً، يرتدي منظاراً طبياً ذا عدسات مقعرة سميكة، مجعد الشعر، كثيفه، ضخم الأذنين حتى لتحسبهما أذني حمار، وقال له عوف: مالك مكشر ليه؟

أجابه حمدي: يعني مش عارف ليه؟! مدير النيابة الجديد أحمد بك حداد أسند جلسة الثلاثاء، وجلسة الخميس لجرجس وبطرس، وده معناه إن أكل عيشي اتقطع. سأله عوف: وهو جابر عثمان حيشتغل إيه؟ أجابه ابن خالته: مش عارف، شكله حيسيب شغل الجلسات خالص. قال عوف: على كل حال.. الكلام هنا مش حينفع.. أنا قدامي ساعة وأشطَّب.. نكمل كلامنا على القهوة. سأله حمدي: أنهي قهوة؟ أجابه عوف: قهوة الخُرْس اللي على قمة شارع الكنيسة المارونية، اللي في وش معبد اليهود .. عارفها؟

وبعد ما يزيد قليلاً على الساعة جلس عوف وحمدي على المقهى المذكور، وأثناء دور الدومينو الذي انهمكا فيه، قال عوف: هاه إيه يا سيدي اللي مسبب لك القلق ده كله؟

أجابه حمدي: معنى إن جرجس وبطرس يمسكوا شغل الجلسات.. إنهم هيمشوني.

ابتسم عوف، وقال: هتفضل طول عمرك حمار!؛ لأن جرجس وبطرس عمرهم ما هيقدروا يستغنوا عنك؛ لأنهم ما عندهمش خبرة بشغل الجلسات.

نظر إليه حمدي في اهتمام، فتابع عوف: واللي أنت مش واخد بالك منه.. إنك أنت اللي حتشغلهم، مش هما اللي حيشغلوك.

سأله حمدي في بلاهة: تقصد إيه؟

أجابه عوف: الخير كله حيصب في عبك، مش حتاخد يومية عشرين جنيه ولا تلاتين جنيه زي زمان.. لا .. لا.. أنت اللي حتشغل الجلسات لحسابك.. وده عشان هما الاتنين مش فاهمين حاجة.

قال حمدي: بس دي حاجة تقلق.. وممكن اتكشف وأروح في داهية.

قال عوف: يا ابني افهم.. أنت كل اللي حتعمله.. إنك تطمئنهم على الآخر، وتقول لهم ما يشيلوش هم الشغل، وهما طبعاً أكيد خايفين وقلقانين.. وما حيصدقوا يلاقوا واحد زيك عنده خبرة وفاهم وحيرحهم، حتكون النتيجة إنهم يسيبولك الحبل على الغارب، ونشتغل احنا بقى.

قال جملته الأخيرة وهو يحك إبهامه بسبابته علامة المال الذي سينهال على حمدي من الفساد، ولكن كلامه لم يفلح في بث الطمأنينة في قلب قريبه الذي قال: أصل المشكلة إن جرجس وبطرس ما بياخدوش فلوس من حد .. وده معناه إنهم مش حيحتاجوني.

ابتسم عوف، وقال: اللي أنت ما تعرفوش، والمعلومات اللي وصلتني إن أحمد بك حداد اداهم شغل النيابة كله؛ يعني غصب

عـنهم حيشَّـغلوا معـاهم نـاس مـن البـاطن، وأكيـد مـش حيلاقـوا قدامهم حد غيرك، وبعدين ما تنساش، إن وكلاء النيابة والقضاة نفســهم بيشــوفوك وعارفينــك، وماحــدش مــنهم اعتـرض علــى وجودك.. حييجي بطرس ولا جرجس هو اللي يمشيك؟

سأله حمدي: فكرك كدة؟

أجابـه عـوف: وأبـو كـدة.. احنـا طاقـة القـدر اتفتحـت لنـا.. ومـن النهاردة تقدر تعتبر نفسك اشتغلت في الكويت!

ضحك حمدي، وقال: الكويت بس، الخليج كله وحياتك!!

شاركه عوف الضحك، وقال: بس اسمع احنا قرايب، وأنا اللي شغلتك عند جابر عثمان، وحطيت رجلك في المحكمة.. يعني الخير اللي هيجيلك تقسمه معايا النص بالنص يا حلو.

الوسيط

" في بحر عرمرم هائج الأمواج، وأمطار غزيرة وشمس غابت وراء الغيوم حتى استحال لون السماء إلى لون رمادي داكن أقرب إلى السواد، في وسط هذا كله كان أحد الأشخاص يصارع الموت غرقاً بكلتا يديه محاولاً الوصول إلى أقرب بر، متمنياً الارتماء على أية جزيرة قريبة إلا أنه للأسف لم يجد تلك الجزيرة.

وتأتي الموجة من اليمين فتقذف به إلى اليسار فتتلقفه زميلتها وتعود فتقذفه من اليسار إلى اليمين حتى صار المسكين بمثابة كرة تنس يتقاذفها لاعبان ماهران.

ما الذي أوجد هذا المسكين في ذلك البحر وهو لا يجيد السباحة؟ وحتى لو كان سباحاً ماهراً، فهل هذا وقت مناسب للسباحة؟ أم أن هذا حكم القوي؟

وفجأة يظهر مركب عليه صياد فيشير له صاحبنا، ويراه الصياد، ولا يعيره اهتماماً، ويمضي بمركبه.

ما هذه الأنانية؟ ألم يكن بمقدور ذلك الصياد إنقاذه؟

وتتوالى المراكب، ويتكرر ذات الموقف بمنتهى الغرابة.

والأغرب أن وجوههم تبدو مألوفة له، وكأنه يعرفهم جيداً.
و....ولكن مهلاً.
كيف يتسنى لهذه المراكب الإبحار هكذا بسهولة ويسر رغم هياج البحر؟
كيف لا يبدو على وجوه الصيادين ثمة قلق؟
ألعله حلم؟ نعم هو كذلك بالفعل.. لا بل هو كابوس.. كابوس فظيع..."

غادر الموظفون المحكمة، وهبط الليل سريعاً وساد الهدوء، ولم يبق داخل المبنى إلا بعض أفراد الشرطة القائمين على الحراسة، وكذلك بقى جرجس وبطرس لإنجاز بعض الأعمال، وقال جرجس لبطرس:
– أنا مش قادر أفهم.. إيه سر البرود اللي انت فيه ده؟ بذمتك تفسر بإيه تصرف أحمد حداد معانا غير أنه اضطهاد ديني مفضوح؟
أجابه بطرس: – مين قال لك إني مش متضايق.. ده أنا بغلي من جوايا.. بس الفرق اللي بيني وبينك.. إني بحاول أواجه همومي بابتسامة مش بعصبية زيك. وأكيد ربنا مش حينسانا. انت نسيت إن ربنا قال في الإنجيل " **تعالوا إلي يا جميع**

المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم" وقال كمان " **من يمسكم يمس حدقة عينه**". .

اندهش جرجس، وقال: – مع إن ما يبانش عليك إنك متدين!

ابتسم بطرس، وقال: مقبولة منك يا عم جرجس.. عشان يعني بادخن؟!. فعلاً أن نفسي أبطل تدخين.. الله يسامحه اللي علمني السجاير والشيشة، المهم، احنا أحسن حاجة نعملها ندخل بكرة الصبح مكتب أحمد حداد زي ما قال لنا محمود بك، ونحاول نعتذر له، ونفهمه إن الشغل كدة كتير علينا. ومين عارف يمكن ربنا يهديه.

قال جرجس: لما نشوف.

وقف فايز في فناء سجن برج العرب حيث تم ترحيله مع آخرين من المحبوسين احتياطياً، وذلك بعد انتهاء مدة الواحد والعشرين يوماً الأولى في الحبس الاحتياطي، ولم تفلح الوساطات في الإبقاء عليه في القسم حيث كان ينعم بمعاملة جيدة إلى حد كبير.

وارتدى في السجن ملابس الحبس الاحتياطي البيضاء، وازدادت حالته النفسية سوءاً، فالضباط والجنود هنا لا يعرفونه، وتتم معاملته كأي شخص آخر قضي بحبسه احتياطياً، وكل ما

نجح فيه هو الاتصال بزوجه وابنته مادلين ليخبرهما بترحيله إلى سجن برج العرب أو كما يسمونه سجن الغربانيات.

ووعدته ابنته بأنها ستزوره قريباً، ولم يشأ أن يخبرها عبر الهاتف بطلب جرجس ليدها إذ آثر أن يفاتحها في الأمر عندما يراها.

آه كم أوحشته مادلين.. إنها ابنته الوحيدة.. حيث لم يلد سواها.. وكم كان يتمنى أن يكون والداً مثالياً تفخر به.. ولكن للأسف .. لعب الشيطان بعقله وأقنعه بأكل الثمرة المحرمة ليطرد خارجاً، ويكون ذلك هو مصيره.

ولم تمض دقائق حتى هلت مادلين آتية، رآها فلوح لها بكلتا يديه حتى رأته بدورها فمضت إليه، وما إن اقتربت، ورأته بملابس الحبس البيضاء حتى التمع الدمع في عينيها الجميلتين، وقال لها: أهلاً حبيبتي.. ما تعيطيش أنا كويس..

مسحت مادلين عينيها بأناملها، وقالت: خلاص مش هاعيط..

سألها أبوها: وفين ماما؟

أجابته: ماما تعبانة شوية وحتيجي معايا المرة الجاية.

ثم أشار لها أن تجلس على مقعد خشبي عريض قريب منهما، فجلسا، وقالت له: اطمن يا بابا، القضية بتاعتك فيها أمل كبير،

الأستاذ اللي بشتغل عنده، الأستاذ عبد الرحيم، اطلع عليها وقال كدة. إن شاء الله مش حيبقى فيه زيارة تانية لي.

سألها في دهشة: ليه؟

أجابته باسمة: عشان حتبقى معانا في البيت.

ابتسم في يأس وقال: ربنا يسهل.

ثم قال لها: فيه موضوع مهم عايز أكلمك فيه.

سألته في قلق: موضوع إيه؟

أجابها: فيه عريس اتقدم لك.

ارتفع حاجباها وقالت : عريس؟! احنا في إيه ولا إيه؟

أجابها: أيوة وأنت عارفاه..

فكرت قليلاً، وقالت متسائلة : يكونش جرجس زميلك في النيابة؟

ابتسم وقال: طالعالي وذكية.. هو فعلاً جرجس.. اسمعي يا حبيبتي.. جرجس أنسب واحد ليكي في ظروفنا دي.. أنا عارفه وعارف إنه شاب محترم، وأكثر من كدة هو عارفنا وعارف ظروفنا.. ومش حبقى مطمئن عليكِ مع حد غيره.. خصوصاً إني مش عارف بكرة مخبيلي إيه.. احتمال يتحكم علي بخمستاشر سنة سجن مشدد.

قالت مادلين في انزعاج : ما تقولش كدة.. إن شاء الله حتاخد براءة، وحترجع الشغل تاني.

قال فايز: طيب.. طيب خلينا في موضوعنا..إيه رأيك في جرجس؟

بدا الضيق على وجهها، وقالت: الحقيقة هو شاب كويس، بس مش ده اللي كنت بتمناه.. قصدي أقول إني بعتبره أخ لي مش أكتر.

مط فايز شفتيه، ثم قال: أنا كأب مش عايز أفرض رأيي عليكِ..أنا قلت لك وجهة نظري اللي أنا مقتنع بيها وإنتِ حرة.

ثم سكت وأردف قائلاً: يعني أقول له لأ؟

وأومأت برأسها إيجاباً، ولم تزد حرفاً واحداً.

وفي نيابة ثان المنتزة – تلك النيابة الوليدة الجديدة التي نشأت من انقسام نيابة المنتزة إلى نيابتين منفصلتين – جلس موظفوها خلف مكاتبهم منهمكين في حل الكلمات المتقاطعة، وأمسك أحدهم هاتفه المحمول، وقال محدثاً أحد زملائه في نيابة أخرى :

– أيوة يا متولي.. أنا معايا الكلمات المتقاطعة بتاعة الأهرام باحلها.. إنت معاك إيه؟

أتاه الجواب، فقال: يااه الجمهورية دي بتبقى صعبة قوي.. ربنا معاك.. طب فيه حاجة واقفة معاك؟ قول ما تتكسفش..... إيه؟

بتقول إيه؟.. علي صوتك مش سامع... فيلم بطولة ليلى علوي يبدأ بحرف الغين؟.. طب ثواني خليك معايا.

ثم التفت لزميله الجالس بجواره، وسأله: فيلم بطولة ليلى علوي يبدأ بحرف الغين؟

فكر زميله قليلاً، وسحب نفساً عميقاً من سيجارته، ثم أجاب: (غرام الأفاعي)

هتف زميله: يا لعبك يا عبقري!

ثم قال لمن يحدثه: الإجابة (غرام الأفاعي).. فيه حاجة تاني؟.. لو في أي حاجة اتصل في أي وقت.. الناس لبعضيها.. معلش هو الرأسي دايماً صعب!

وعلى بعد خطوات من هؤلاء الموظفين، كان مصطفى رئيس قلم نيابة ثاني المنتزة جالساً في حجرته خلف مكتبه منهمكاً في إنهاء بعض الأعمال، ثم سمع طرقات على باب الحجرة، فالتفت، فوجد فكري المحامي واقفاً وعلى وجهه تعلو ابتسامة صفراء سمجة، وقال مصطفى: أهلاً أستاذ فكري.

قال فكري، وهو مازال محافظاً على ابتسامته: ألف مبروك رئاسة القلم، أنا طول عمري أقول مصطفى أكفأ وأنضف موظف في وزارة العدل..

قال مصطفى بلهجة من يريد إنهاء الحوار: أشكرك.. أوامرك؟

أجابه فكري : الأمر لله.. كنت جاي أسأل على قضية شركة الإسكندرية الجديدة بتاعة...

قاطعه مصطفى : خلصت، واتحالت لمحكمة الجنايات!

اتسعت عينا فكري، وقال في دهشة حقيقية: معقول؟ هي لحقت؟!

أجابه مصطفى محاولاً تبديد دهشته : مدير النيابة بتاعنا هنا في منتزة ثاني .. الله يبارك له.. بينجز القضايا.. بيشتغل ليل مع نهار، وبعدين إنت زعلان ليه؟ ده بدل ما تفرح من العدالة الناجزة؟

قال فكري : العدالة الناجزة! .. لا لا أنا مش مصدق إنها اتحالت لمحكمة الجنايات.

أصاب الغضب مصطفى، وقال: يعني أنا كداب؟! .. على كل حال.. اتفضل بص في دفتر الحصر.. لو مش مصدقني.

وفي الصباح توجه جرجس وبطرس إلى مكتب أحمد حداد في محاولة سياسية بائسة يائسة لتلطيف الأجواء وإعادة النظر في توزيع العمل الذي وضعه، كانا يعلمان أن التماساً يقدمونه إلى الله بعدم إشراق الشمس أيسر من قيام أحمد بك حداد بتغيير رأيه أو قراره، حتى لو كان مقتنعاً بأنه على خطأ.

وقال جرجس لبطرس: تفتكر حيخفف من علينا الشغل ده؟

أجابه بطرس: اتقل وكله بالهداوة والسياسة.

زفر جرجس وقال: بصراحة أنا ماليش في السياسة، وشكلي حشد معاه تاني.

قال بطرس في نفاد صبر: لا .. بقول لك إيه.. سيبني أنا أكلمه.. وما تفتحش إنت بقك خالص. يا إما تستنى برة ما تدخلش معايا.

ولم تمض دقيقة حتى وجدا نفسيهما أمام باب مكتب أحمد حداد، وقام بطرس بالطرق على الباب، ودخل ووراءه جرجس، وقال بطرس بعد أن رسم على وجهه ابتسامة دبلوماسية مزيفة: صباح الخير معالي الباشا.

نظر إليهما أحمد في استخفاف: أهلاً خواجة بطرس.. أهلاً خواجة جرجس!

قال جرجس في غضب ظاهر: احنا مصريين مش خواجات و...

لم يكمل جرجس عبارته الغاضبة بسبب مقاطعة بطرس الذي قال: باشا احنا النهاردة جايين وبنتقدم لحضرتك باعتذار عن انفلات الأعصاب اللي كان جرجس فيه امبارح، والمسامح كريم.

نظر إليه أحمد، وقال في برود: وإنت بقى المحامي بتاعه؟ على كل حال.. خلاص مفيش حاجة.. أنا مش زعلان.. اتفضلوا.

قال بطرس: الحقيقة احنا كمان نفسنا حضرتك تعيد النظر في توزيع العمل.. الشغل كدة حيبقى كتير علينا جداً، واحنا خبرتنا لسة محدودة خصوصاً في شغل الجلسات و..

قاطعه أحمد بقوله: هو فيه حد بيتولد من بطن أمه عارف كل حاجة.. اللي ما تعرفوش النهاردة حتعرفه بكرة.

ثم لوح بذراعيه، وقال في أسلوبه الأنثوي: ثم أنا مش فاهم الجلسات صعبة في إيه بالظبط؟!

قال جرجس في عصبية حاول تخفيفها دون جدوى: يعني نبقى كُتاب جلسات، وكُتاب جدول، وكُتاب تحقيقات.. يعني سعادتك عايزنا نعيش في النيابة وما نروحش بيوتنا.

التفت إليه أحمد، وقال في لا مبالاة: وإنت زعلان ليه؟ ما الواد حمدي حيبقى معاك وحيساعدك!!!!

اتسعت عينا جرجس في صدمة ودهشة بالغتين، وقال: حمدي؟!.. اللي شغال من الباطن؟! هو معاليك موافق على الوضع ده؟!

في هذه اللحظة دخل جابر عثمان إلى الحجرة وقال: صباح الخير يا باشا.

نظر إليه أحمد حداد، وقال: أهلاً أستاذ جابر..
ثم نظر لجرجس وبطرس، وقال مستطرداً: آهو الأستاذ جابر جه.. وكويس أنه دخل دلوقتي..
ثم حول نظره ناحية جابر، وقال مستطرداً: أستاذ جابر أنا بقى عايزك تعلم جرجس وبطرس شغل الجلسات كله على أصوله.. وعايزهم الاتنين يبقوا أحسن كُتاب جلسات في مصر.
قال جابر: إن شاء الله يا باشا.
ولم يجد جرجس وبطرس فائدة ترجى من مواصلة الحديث فاستأذنا وخرجا من الحجرة.
وبعد خروجهما، قال جابر لأحمد حداد: سيادة المستشار عبد العظيم بك فتح الباب بيسلم على معاليك..
اتسعت عينا أحمد حداد، ولم ينبس ببنت شفة، ثم أخرج جابر من جيب سترته الداخلي ورقة، وقال: وباعتلك الجواب ده معايا..
ثم نظر لأحمد وقال: الله أكبر، ولله الحمد.

خيانة وتلاعب

" يعني إيه القضية اتحالت لمحكمة الجنايات؟ "

صرخ عاصم بك عضو مجلس إدارة شركة الإسكندرية بهذا السؤال في وجه الأستاذ فكري المحامي غاضباً، فقال فكري محاولاً تهدئته: يا باشا ما تقلقش الموضوع لسة في ايدينا.

استمر عاصم في ثورته قائلاً في غضب شديد: أنا خلاص ما عدتش آكل من الكلام ده.. المرة اللي فاتت غنيم بتاعك لهف مني خمسين ألف جنيه عشان يجيب لي ملف القضية.. ومفيش حاجة جت.. يعني إيه؟ فهمني يعني إيه؟.. هو أنا خلاص بقى يتضحك علىَّ ولا إيه؟

قال فكري: لا عاش ولا كان اللي يضحك عليك يا باشا.. ما تقلقش القضية قدامها مش أقل من سنتين عشان يصدر فيها حكم!!

استشاط عاصم غضباً، وقال: الكلام ده أنا سمعته قبل كدة.. اسمع.. الخمسين ألف جنيه اللي صاحبك حطهم في كرشه..

يكونوا عندي هنا بكرة الصبح.. يا إما قسماً عظماً حيشوف أيام سودة.. وانت كمان يا فكري..

قال فكري متسائلاً في رعب: أنا كمان إيه يا باشا؟

أجابه عاصم في ثورة عظيمة: حعلقك من رجليك.

قال فكري في محاولة لتهدئته: اسمعني كويس يا باشا، بخصوص الفلوس اللي اتدفعت حترجع، وأما بخصوص القضية هو مش برضه سعادتك كنت ناوي تولع فيها بنفسك.

نظر إليه عاصم في تساؤل، فتابع فكري، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة إبليس: القضية دلوقتي موجودة في محكمة استئناف الإسكندرية يعني في المحكمة الحقانية اللي في عرابي في المنشية.

قال عاصم متسائلاً في عصبية ونفاد صبر: مش فاهم؟!.

ابتسم فكري ابتسامة الشيطان، وقال : ماس كهربائي هيحصل في الحقانية، ونخلص.

برقت عينا عاصم، ثم انفجر ضاحكاً، وشاركه فكري الضحك.

جمع مقهى "صابر" المواجه للمحكمة الصديقين جرجس وبطرس كعادتهما، وقال الأول للثاني:

– شفت المصيبة اللي احنا فيها، البيه عايزنا نعتمد على حمدي، بذمتك تفسر ده بإيه؟

أجابه بطرس، وهو ينفث دخان النارجيلة: فساد.. مش عايزة كلام.

زفر جرجس، وقال: الحمد لله.. أخيراً جيت في صفي، وأيدتني.

ابتسم بطرس، وقال: أنا عمري ما اختلفت معاك في الرأي، لكن اختلافي معاك في الأسلوب. الكلام عن الفساد ممكن نقوله واحنا قاعدين هنا على القهوة.. لكن انت ما عندكش مانع تقوله فوق في النيابة. ما أنا عارفك متهور.

ضحك جرجس، وقال: عشان أنا ثورجي طول عمري.. والثورة مالهاش دعوة بالسياسة والحسابات.

قال بطرس في تهكم: ثورجي؟!.. الثورجي يا حبيبي. ما يقبلش وظيفة بالواسطة يا أستاذ. وبلاش تبصلي، أنا يا حبيبي مش ثورجي.

اختفت الابتسامة من وجه جرجس، وقال: غلطة.. بعترف بيها.. لأن الظروف وقتها كانت أصعب مني.. لكن خلاص هانت.

اندهش بطرس، وسأله: هانت إزاي؟

أجابه جرجس: أنا قررت السنة دي أدخل كلية الحقوق وحذاكر، وبعد الليسانس حقدم استقالتي، وأشتغل محام.

ابتسم بطرس، وقال: انت بتحلم.

قال جرجس: دي الوسيلة الوحيدة للخلاص من مستنقع الفساد اللي احنا غرقانين فيه.. المحاماة حرية.. كفاية إنك وانت محام بتشتغل عند نفسك.. لا وكيل نيابة يتحكم فيك، ولا قاض يقرفك. ساعتها الثورة حتبقى أسلوب حياة مُعاش، ومش حنخاف نعلن إننا ثورجية.

قال بطرس: كل ده كلام جميل، بس تقدر تقول لي حتعيش منين يا حضرة الثورجي وانت محام؟

أجابه جرجس في غضب: إنت ليه محسسني إن المحامي شحات؟ لعلمك المحامين بيكسبوا قد الموظف عشر مرات ويمكن أكتر.

أخرج بطرس دخان النارجيلة من فيه، وقال: الكلام ده لما يبقى محام كبير.

قال جرجس في نفس الغضب: وأنا حبقى محام كبير.

نظر إليه بطرس، وقال: من غير زعل يا جرجس.. أشك إنك تكون في يوم من الأيام محام كبير.. عارف ليه؟.. لأنك بني آدم نضيف.. تقدر تقوللي وإنت محام إزاي حتقدر تدافع عن تجار المخدرات والقتلة والبلطجية وغيرهم.

أجابه جرجس في ازدراء لمنطقه: بطل جهل.. المحاماة فن وعلم.. المحامي بيدافع عن متهم، مجرد متهم، مش بيدافع عن الجريمة نفسها.. المحامي شريك للقاضي في تحقيق العدالة، ولو حضرتك كلفت نفسك وقريت شوية تاريخ حتعرف إن فيه بعض المرافعات لبعض المحامين اللي ساهمت في إرساء مبادئ قانونية خالدة أيدتها محكمة النقض، شوفت بقى المحاماة عظيمة قد إيه؟

قال بطرس: ماشي يا عم المثقف، الله يسامحك على كلمة (جاهل)، وعلى كل حال ربنا يوفقك.. أنا بس حبيت أنصحك، خلينا دلوقتي في المهم.. حنعمل إيه مع حمدي ده؟

قال جرجس في استنكار: وده كلام؟.. مش ممكن أعتمد على حد من المرتزقة، احنا حنغير مبادئنا ولا إيه؟

في هذه اللحظة جاءهما النادل، وقال له بطرس: ولعة للشيشة وحياتك يا محمد.

قال النادل: عيوني يا باشا.

وانصرف النادل لإحضار الفحم المشتعل، والتفت بطرس لصديقه، وقال: بص يا جرجس احنا مش حنغير مبادئنا، ومفيش جنيه حرام حيدخل جيوبنا بإذن الله، لكن زي ما بيقولوا الضرورات تبيح المحظورات، ولو عندك حل تاني قولهولي.

تنهد جرجس، وقال: مش عارف.. مش عارف.. على إيدك رحنا كلمنا أحمد حداد معملش حاجة، ومحمود بك رغم كل مميزاته، لكن عيبه الوحيد أنه سلبي، وشايل إيده من الموضوع.. وفعلاً مش عارف أعمل إيه؟ يا ما نفسي أغمض وأفتح عينيا ألاقي شهادة الليسانس بين ايديا.. ساعتها حروح لأحمد حداد وأقول له.....

قاطعه بطرس: يا عم جرجس ركز معايا، وفكر في اللحظة اللي احنا فيها.

ثم قال بطرس: إيه رأيك نتصل بالواد حمدي ونجيبه يقعد معانا على القهوة، ونفهمه حدوده معانا.

قال جرجس متسائلاً: وهي إيه حدوده معانا إن شاء الله؟

أجابه بطرس: حمدي حيساعدنا في تنظيم القضايا، وترتيبها مش أكتر من كدة، ويخلي باله من الدواليب اللي فيها الملفات.. لكن مالوش دعوة بالأمور الفنية للجلسة، ولو فيه حاجة احنا مش فاهمينها.. مفيش مانع نسأله بحكم أنه خبير!!

قال جرجس في سخرية: خبير؟!

أجابه بطرس في جدية: آه خبير.. ودي حاجة ما نقدرش ننكرها.

حضر النادل في هذه اللحظة، ووضع الفحم المشتعل على نارجيلة بطرس ثم انصرف، وسأل جرجس صديقه: وحمدي

حيعمل كدة مقابل إيه يا أستاذ يا عبقري؟.. حنديله يومية من المرتب ولا من الحوافز؟

أجابه بطرس: بص يا جرجس.. احنا مش حنديله حاجة طبعاً.. لكن لو فيه محام دفع له حاجة بنفس راضية.. مش حنشاركه فيها، وبكدة نحافظ على نضافة ايدينا، وده بشكل مؤقت لحد ما الظروف تتحسن.

فكر جرجس قليلاً، ثم قال: أنا مش مطمئن للكلام ده، لكن واضح إن مفيش حل تاني.

وسارت الأمور بعد ذلك كما خطط لها بطرس، وتعهد حمدي له ولجرجس أنه سيكون عند حسن ظنهما، ولن يتسبب في إلحاق الأذى بهما، إلا أن الرياح دوماً لا تأتي بما تشتهيه السفن، فالواقع أن ضغط العمل الرهيب الذي وقع فيه الصديقان كان من القسوة الشديدة بحيث لم يمكنهما من رقابة حمدي كما ينبغي حق الرقابة، فكثيراً ما اضطرا لترك حمدي وحيداً في حجرة كُتاب الجلسات بسبب انشغالهما في تحقيق الجنايات مع وكلاء النيابة، أو بسبب متابعة أعمال دفاتر جداول الجنح والمخالفات.

وشيئاً فشيئاً بدأ جرجس وبطرس الاعتماد على حمدي في تحضير الجلسات، وكتابة المعلومات والبيانات الهامة في الدفاتر

المتعلقة بها، وغير ذلك من الأعمال عملاً بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات، ولم تكن لدى حمدي من الأساس نية الإخلاص والوفاء بوعوده للصديقين، فلم يحافظ على العمل سليماً من التلاعب، ولم يجد لديه رغبة في مقاومة الإغراءات التي بدأت تنهال عليه من بعض المحامين الفاسدين.

ويوماً ما جاء إليه أحد المحامين، وطلب منه عدم إرسال قضية معينة لمحكمة الجنح المستأنفة، كانت النيابة قد طعنت على حكم البراءة الصادر فيها، رغم تحديد جلسة للاستئناف، وعرض على حمدي مائة جنيه على سبيل الرشوة، فقال حمدي:

– إيه يا أستاذ اللي إنت بتقوله ده؟ أنا أعمل كدة؟

قال المحامي: يا عم دي جنحة مباني.. يعني مافيهاش مجني عليه، وما حدش حياخد باله!

قال حمدي: حاخد خمسمائة جنيه.

قال المحامي: يا مفتري.. خمسمائة جنيه كتير قوي.

قال حمدي: إنت ناسي إن جرجس سكرتير الجلسة هياخد أربعمائة جنيه، وأنا يدوب هاخد مائة جنيه بس!!!

ابتزاز

قال أحد المواطنين لآخر: شوفت المصيبة.. بيقولوا الحقانية ولعت!!

رد الآخر في دهشة: معقول؟!.. يا نهار أسود.. ومين عملها

أجابه الأول: أكيد واحد مختل عقلياً!!

قال الثاني معقباً: مختل عقلياً إيه يا أهبل؟ هو اعتداء على كنيسة؟.. ده أكيد ماس كهربائي!!

جلس جرجس مع والدته في شرفة منزلهما الكائن بمنطقة المندرة، وقال لها:

– أنا طلبت إيد مادلين من أبوها.

استشاطت أمه غضباً، وقالت: يعني برضه مشّيت اللي في دماغك.

قال جرجس: أنا بحبها يا أمي.. أرجوكي ما تزعليش.. وفكري في الموضوع بهدوء.. هي ذنبها إيه إن أبوها محبوس؟!

قالت أمه: يعني هو ده نسب يشرف؟..

ثم أضافت في سخرية مريرة: حنروح نتفق معاهم فين؟.. في الزنزانة؟ والإكليل نعمله فين؟ في غرفة الإعدام؟!

قال جرجس في غضب: إنت كدة بتظلمي مادلين... حطي نفسك مكانها.

ردت أمه: أنا ما حطش نفسي مكان حد..أهم حاجة عندي حضرتك، ومصلحتك.

قال جرجس في إصرار: أنا مصلحتي أتجوز اللي بحبها..

ثم وقف، وقال وهو يستعد لمغادرة الشرفة: واعملي حسابك.. لو ما اتجوزتش مادلين.. مش هاتجوز خالص!!

توقف عقل أحمد حداد عن التفكير لحظات من تأثير المفاجأة، فلم يكن يتوقع أن جابراً هو الوسيط بينه وبين المستشار عبد العظيم، وبعد أن غادر جابر الحجرة فتح الخطاب ليقرأ ما به، وما إن قرأ حتى اتسعت عيناه في دهشة كبيرة...

جلس المعلم عبد العزيز مستأجر مقصف المحكمة على كرسي خشبي، وقال:

– واد يا عوف.. اعملي كوباية شاي.

قال عوف في غضب مكتوم: حاضر يا معلم.

ولم تمض دقيقتان حتى كان الشاي قد أعد، وأتى به عوف إلى معلمه الذي قال:

– مبروك يا عوف على الدكان اللي اشتريته في كرموز.

قال عوف في دهشة ممزوجة بغضب: الله يبارك فيك يا معلم.. سمعت من مين؟

أجابه عبد العزيز مبتسماً في خبث: هو فيه حاجة بتستخبى؟، وناوي تعمله إيه؟ قهوة؟ ولا سوبر ماركت؟

قال عوف مجيباً: بفكر أعمله مطعم فول وفلافل وكشري والذي منه.

سأله عبد العزيز: وناوي تسيبنا؟

قال عوف: وده كلام يا حاج؟.. ده أنا لحم كتافي من خيرك، ده أنا برة المحكمة ما اساويش حاجة.

كأسد جائع يدور في الغابة ملتمساً فريسة يلتهمها بلا رحمة، كان هذا هو حال المفتش الإداري سامي، الذي يدور في النيابات ليفتش على أعمال الموظفين، ويكتب التقارير التي يرفعها بعد ذلك للرؤساء، متمنياً أن يرزقه الله بخطأ أو هفوة يكتشفها في أي قضية أو دفتر حتى يتمكن من لي ذراع الموظف فإما أن يتسبب في معاقبة الأخير بجزاء إداري، وإما أن يقبض ثمن سكوته!

وما إن علم سامي بتوزيع العمل الجديد في نيابة أول المنتزة حتى ذهب إليها مطمئناً نفسه بأنه سيعثر لا محالة على كم هائل من الأخطاء، وليمارس هوايته المفضلة في ابتزاز الموظفين..

وجلس سامي في حجرة كُتاب الجلسات، وسأل حمدي:- فين يا حمدي (جرجس عوض) و(بطرس أنور)؟

أجابه حمدي: عندهم دلوقتي تحقيقات مع وكلاء النيابة.. وأنا هنا مكانهم!

قال سامي في ازدراء مصطنع:

- إنت مكانهم؟ ما شاء الله.. ما شاء الله.

وقد كان سامي يوماً ما موظفاً بائساً، ولم يحظَ يوماً بأي احترام أو تقدير من زملائه، الأمر الذي سبب له عقدة مزمنة لإحساسه الدفين أنه لا شك أفضل منهم، ومع ذلك يعاملونه باحتقار وازدراء، زد على ذلك ما كان يلقاه من معاملة قاسية من أبيه وأشقائه الأكبر منه سناً بسبب فشله الدراسي وحصوله بالكاد على دبلوم التجارة المتوسطة، كل هذا دفعه للسعي جاهداً للحصول على أي مؤهل عالٍ حتى يتسنى له الترقي السريع بأي شكل لتعويض الشعور بالنقص الذي يعتريه.

وكم سعى حثيثاً لنيل شرف التفتيش الإداري، وقد طلب لذلك وساطة الكثيرين، ولم يفلح بسهولة في الوصول لهذا المركز، وأسندت إليه في البداية أعمال الجلسات قبل عدة سنوات، فكان مثالاً لسكرتير الجلسة الحقير منعدم الضمير.

لذا فما إن صار مفتشاً، حتى عرف من أين تؤكل الكتف، فهو الخبير العليم بطرق الفساد وسبل الإفساد؛ فهو لا يتورع عن ابتزاز زملائه، ولا يمانع في الحصول منهم على أي منفعة نقدية أو عينية أو خدمية مقابل السكوت عن الفضائح، والكل يعرف عنه ذلك، فالبعض يشتري له اللحوم والدواجن، والبعض يكتفي بتوصيله بالسيارة حتى باب المنزل، والبعض يشتري له قطع الحشيش لزوم الكيف!!، ولا نستطيع الجزم حول ما إذا كان يقبل الرشوة الجنسية من عدمه!

أما إذا لم يستطع الموظف أن يمنحه شيئاً من ذلك، فتحرير المذكرات والشكاوى هو السبيل الوحيد، فإما أن ينتهي الأمر بحبس الموظف احتياطياً، وإما أن يُكتفَى بتوقيع الجزاء الإداري عليه.

وبعد أقل من ساعتين حضر إلى الحجرة جرجس وبطرس، وسلما على سامي، وقال لهما: – أهلاً يا أساتذة.. انتو بقى اللي ماسكين الجلسات؟

هزا رأسيهما بالإيجاب، فقال متسائلاً، وكأنه لا يعرف: بقالكو قد إيه؟

أجابه جرجس في عصبية، وأسلوب يخلو من اللياقة: من أول اليوم الأسود اللي النيابة اتقسمت فيه.

قال سامي في برود: طيب.. أثناء ما كنتم في التحقيقات دلوقتي.. أنا بصيت على شغلكم.. والحقيقة انتو رايحين في داهية!

اتسعت عيونهما في جزع، وقال بطرس: خير؟

أجابه سامي: فيه قضايا كتير مُستأنفة.. ولم تُرسلْ لمحكمة الجنح المستأنفة.

شعر جرجس وكأن دلواً مملوءاً بماء مثلج قد انسكب على رأسه في يوم شديد البرودة، وقال في قلق وصوت مبحوح: إزاي؟

فتح سامي دفتر القضايا المستأنفة وقال:

– انتو مش عارفين إن كل قضية بيطعن على حكمها بالاستئناف.. المفروض يتم إرسالها للنيابة الكلية برقم صادر.. وتقيد هناك برقم جديد هو رقم الاستئناف.. آدي الدفتر قدامي فاضي.. لا فيه أرقام صادر ولا أرقام استئناف.. بصوا بقى.. القضايا دي لو ما تمش إرسالها كلها خلال يومين..حتتحبسوا لأني حررت مذكرة، ورفعتها لمدير النيابة أحمد بك حداد.. وانتو أحرار.

حادث سير

هل جربت ذلك الشعور يوماً؟ أن تفقد الإحساس بمفاصلك، وتصيب البرودة أطرافك كما لو كانت موضوعة داخل ثلاجة جيدة الصنع من الأنواع الحديثة..

أن تفقد الإحساس بالزمن، وبمن حولك.. تتعجب من ضحكات الآخرين وابتساماتهم، وتتساءل في دهشة غريبة: ألا يزال هناك من يضحكون، ومن يبتسمون؟

فعندما علم جرجس بأمر المذكرة التي حررها سامي المفتش في حقه هو وبطرس بسبب القضايا المستأنفة التي لم ترسل لمحكمة الجنح المستأنفة، وفوات مواعيد الجلسات المحددة لها، مما جعل شبح الحبس الاحتياطي يحوم حوله، شعر ساعتها باختناق شديد، فها هي الفرصة قد أتت سانحة لأحمد حداد لتنفيذ تهديده، بل قل لتنفيذ رغبته التي أعلنها غير مرة بكل برود.

ومن وضعه في تلك المشكلة من البداية؟ أليس هو أحمد حداد؟ وفيما هو يفكر في تلك الأمور، قال له بطرس:

– ما تقلقش.. دي مشكلة بسيطة وهنحلها.. ومفيش حبس إن شاء الله.

قال جرجس في ثورة: – اسكت.. مش هو ده حمدي اللي خليتنا نعتمد عليه.. راح باع القضايا على قفانا.

قال بطرس في غضب مماثل: – أنا برضه؟.. أنا اللي جبت حمدي؟.. ولا مدير النيابة هو اللي زنقنا الزنقة السودا دي؟

ثم استطرد: على كل حال المسألة بسيطة احنا حنجيب القضايا دي، ونخلي مدير النيابة يحدد لها جلسات جديدة ونبعتها، ونقدم أرقام الاستئناف للمفتش، والمذكرة تتحفظ، واحمد ربنا إن المتهمين في القضايا دي مش محبوسين، وإلا كانت تبقى المصيبة أكبر.

ابتسم جرجس، وقال متهكماً: بالبساطة دي.. وتفتكر أحمد حداد هيقدم لنا يد العون.. ده هيموت ويحبسنا.

قال بطرس: لا مش هيحبسنا.. ما تنساش إننا بشتغل مع وكلاء نيابة ما يقدروش بسهولة يستغنوا عنا.

قال جرجس في عصبية شديدة كجواد جامح أفلت من عقاله: وحتى لو المشكلة دي اتحلت.. تضمن منين إن اللي حصل ده ما يتكررش.. اسمع.. حمدي ده لا يمكن يقعد في قلب المحكمة تاني إلا على جثتي.

ثم ترك بطرس الذي قال: طب استنى.. اسمعني.

إلا أن جرجس قد تركه غاضباً، وترك الثورة تسيطر عليه، واتجه إلى حيث يجلس حمدي، وقال له صائحاً:

– اسمع.. إنت من النهاردة.. تمشي، ومش عايز أشوف وشك هنا تاني.

قال حمدي في غضب: – إيه فيه إيه يا عم؟ بالراحة علينا شوية.

رد جرجس في ثورة: – اسكت ما تتكلمش كلمة واحدة.. يا حرامي.. رايح تتقاول مع المحامين.. وتسقَّط الاستئنافات من ورايا.. وأروح أنا في داهية.

اشتعل الغضب في قلب حمدي، وقال: أنا مش حرامي، وإوعى تقول كدة تاني...

تدخل جابر عثمان، وقال: فيه إيه بس يا جماعة؟ صلوا على النبي، مش كدة.

ثم نظر لجرجس وقال: آه لا مؤاخذة نسيت إنك ما بتصليش على النبي.

التفت إليه جرجس، وقال: يا أستاذ جابر.. من فضلك.. أنا الحال المايل ما يعجبنيش، وحمدي ده مش عايز أشوف وشه هنا تاني..

سأله جابر: ويرضيك تقطع عيشه؟!

أجابه جرجس في ثورة عارمة: عيش إيه يا عم؟ دي اسمها سرقة وفساد.

قال جابر في برود: لا لا يا جرجس انت كدة بدأت تتجاوز حدودك.

تابع جرجس، وكأنه لم يسمعه: ولو كان فاكر إن مدير النيابة حيحميه مني يبقى غلطان وستين غلطان.
قال جابر: وطي صوتك، انت عايز تروح في داهية.
ثم نظر جابر لحمدي، وقال: خلاص يا حمدي.. امشِ دلوقتي، وأنا ححلها بعدين بمعرفتي.
أطاعه حمدي، وترك الغرفة، وقال جابر لجرجس: – هدِّي نفسك يا جرجس.. مشكلة المذكرة دي بسيطة، وياما عدت علينا حاجات من دي وأوسخ منها وحليناها، والقضايا دي حنجيبها ونخلصها.. بس ما تعملش كدة.
قال جرجس محافظاً على ثورته متأججة: المذكرة تخلص ما تخلصش.. أنا قلت حمدي يمشي يعني يمشي، أنا بقى راجل صعيدي ودماغي كدة.
ثم غادر جرجس الحجرة بدوره ذاهباً إلى مكتب محمود بك وكيل النيابة لإنجاز بعض الأعمال، وفي الطريق التقى بشريفة، ومد يده ليسلم عليها، وقالت له: مالك مكشر ليه؟
ابتسم وقال: لا أبداً، فيه شوية مشاكل في الشغل..
ثم سألها في لهفة: أخبار مادلين إيه؟ ما بتردش على تليفوناتي؟
أجابته بعد لحظات من التردد: في الحقيقة يا جرجس.. أنا كنت جاية أقول لك على حاجة مهمة.
ارتسم القلق على وجه جرجس، وسألها: حاجة إيه؟

أجابته شريفة في حرج بالغ: مادلين بتقولك إن كل شيء قسمة ونصيب، ومفيش نصيب تبقوا لبعض، والأحسن تفضلوا اخوات!!

في الإسكندرية، وفي فصل الشتاء، لا تفرح إذا رأيتَ الشمس تتوسط السماء معتقداً أن الطقس دافئ ولطيف.. فما هي إلا دقائق وينقلب الحال إلى النقيض، فتتكاثر السحب المنخفضة، ويصير الجو ملبداً بالغيوم، وبعد لحظات يبدأ المطر خفيفاً في البداية ثم يزيد تدريجياً حتى يستحيل إلى طوفان لا يرحم لا يجدي معه نفعاً أعظم الأفلاك..

وكانت حياة جرجس هكذا فما إن يلوح الأمل، ويعتقد أن شمساً شتائية تبعث الدفء اللذيذ إلى حياته حتى تختفي تلك الشمس وراء الغيوم الكثيفة، أو يمكن أن تتحول إلى شمس صيفية حارقة لا تخفف حرارتها أجهزة التكييف؛ فلم تكتفِ الأقدار بمشاكل العمل، وتعسف مدير النيابة معه، فأضافت كذلك جرحاً دامياً إلى قلبه، لا يدري سبباً له.

أبعد أن سيطرت مادلين على فؤاده وسافرت به وحلقت به عالياً، إذا بها تتركه يهوي من حالق؟

وقف في المساء وحيداً في شرفة منزله، سارحاً في وجوه المارة، فأتت أمه، وسألته: مالك يا جرجس؟

التفت إليها، وأجابها في حزن شديد: خلاص يا أمي.. أنا اقتنعت بوجهة نظرك.. مادلين دي ما تنفعنيش.
تنهدت أمه، وقالت في ارتياح مبتسمة: عشان تبقى تصدقني، وتسمع كلامي.
ثم تركها متجهاً لغرفته، وكانت الأحزان الممزوجة بغيظ شديد تسيطر عليه، فما أقسى الشعور بالهزيمة، ما أقسى أن ترى صرحاً جميلاً وعاليًا يتهاوى أمامك في لحظات، بعد أن تتعب في تشييده. أين يجد الكلمات التي يصف بها شعوره في هذه اللحظات؟ من يمد له طوق النجاة من الغرق في بحر متلاطم الأمواج أبَى أن يهدأ قليلاً، ورياح عاتية لا تجد مسيحاً ينتهرها فتهدأ.

مرت الأيام بعدها، وبدأ جرجس وبطرس يسعيان لحل مشكلة القضايا المستأنفة من خلال تحديد مواعيد جلسات جديدة، وإرسال الملفات لمحكمة الجنح المستأنفة، وذلك بعد أن نجحا في التفاوض مع أحمد حداد على تأجيل التحقيق معهما بفضل توسط عدد من وكلاء النيابة.
وقد أصر جرجس على الاعتماد على نفسه، وطرد حمدي تماماً، وقد أقنع بطرس بذلك، وقد تعاون معهما عدد من الموظفات اللاتي كن يعتبرن الصديقين بمثابة الأبناء لهن.

كانا ينصرفان من النيابة يومياً في الثانية عشر صباحاً (أي منتصف الليل)، وهذا حتى يتمكنا من إنهاء ما يستطيعان إنهاءه من أعمال كثيرة جداً ألقيت على عاتقهما من كتابة تحقيقات مع وكلاء النيابة، وإنجاز الأعمال الإدارية السخيفة، ورغم ذلك قرر أحمد بك حداد حرمانهما من الحوافز الإضافية بحجة الإهمال!!

أما حسني سكرتير جنابه، والذي لا يفعل شيئاً ذا قيمة تذكر سوى كتابة تحقيق واحد صغير في جنحة تافهة (لعل هذه الجنحة هي الشيء الوحيد الذي تعلمه أحمد حداد في حياته العملية)، والذي ينصرف في الواحدة ظهراً، هذا إذا تأخر، متفوقاً في بجاحته على الموظفات الحوامل، فكان يحصل على هذه الحوافز كاملة غير منقوصة.

كل هذا وأكثر جعل الشعور بالظلم متفاقماً، فإذا كان هناك بعض الإهمال فهل يُسأل عنه جرجس وبطرس فقط، أم أن سياسة المدير التعسفية تعد شريكة في هذا الإهمال بلا جدال؟ هل نلوم الرضيع إذا فشل في السباحة في البحر الأبيض المتوسط ليصل إلى أوروبا سالماً، أم نلوم من ألقاه وطالبه بالعوم؟

تحولت النيابة بالنسبة للصديقين إلى بيت يعيشان فيه بكل ما تحمله الكلمة من معنى، أما بيتاهما الفعليان فقد صارا مجرد لوكاندة للنوم فقط! أصبح الصديقان معروفين لأصحاب المطاعم والمقاهي المنتشرة في المنشية، ولا عجب في ذلك فوجبات

الإفطار والغداء والعشاء يتناولانها في المنشية، وفيما هما يتناولان وجبة الغداء قال جرجس لبطرس: – الحمد لله قربنا نخلص مشكلة الاستئنافات.

قال بطرس:– الحمد لله.. أنا قلت لك.. دي مشكلة بسيطة.. مسألة وقت.. المهم ما تتكررش تاني.

رفع جرجس سبابته وقال: – عشان ما تتكررش تاني.. لازم يعاد النظر في توزيع العمل، أو ينقلونا نيابة تانية مع مدير نيابة يكون بيفهم.

ضحك بطرس:– ينقلونا نيابة تانية.. هي دي حاجة سهلة يا حبيبي، إنت في مصر يا أستاذ.. يعني عشان تتنقل من أوضة لأوضة في نفس النيابة لازم تجيب واسطة!!

قال جرجس :– إيه يا عم جرعة الإحباط دي؟!

ثم قال مغيراً دفة الحديث :– أنا بفكر آخد إجازة اعتيادي لمدة أسبوع.

سأله بطرس: – ليه؟

أجابه جرجس: – عشان أقدم أوراقي في كلية الحقوق جامعة الإسكندرية.

ابتسم بطرس، وقال: – انت خلاص نويت.

أومأ جرجس برأسه إيجاباً، وقال:– آه.. ده الحل الوحيد.. عشان أقدم استقالتي وأشتغل محامٍ، الوظيفة دي وظيفة قاتلة، وإحنا شغالين في وزارة الظلم مش وزارة العدل.

تنهد بطرس وقال:- ربنا يوفقك.. بس ليه تاخد إجازة أسبوع بحاله ؟ مش كتير؟

أجابه جرجس: - دول طالبين أوراق ومستندات كتير، وإنت عارف الروتين اللي في بلدنا، ياريت أسبوع واحد يكفي، دول عايزين أصل شهادة بكالوريوس الزراعة، وأصل شهادة الثانوية العامة، وأصل شهادة الميلاد، وأصل شهادة التجنيد، وغيرها من الأوراق، وكل ورقة من دول عايزة شهرين عشان تخلص، بس كل ده مش مهم عارف إيه المهم؟

سأله بطرس:- إيه المهم؟

أجابه جرجس:- المهم إن أحمد حداد يوافق على الإجازة!

كان طفلاً جميلاً، فرح به أبواه حين ولد، وقاما بتدليله، ولم يحرماه من شيء قدر استطاعتهما، وما زاد من ذلك أن الله لم يشأ أن ينجبا سواه.. نشأ فاروق وحيداً دون أشقاء أو شقيقات، ولم يحرمه غنيم من شيء حتى لو اضطر لفعل أي شيء لجلب المال لإسعاده، لم يفلح فاروق في أن يلتحق بجامعة أهلية، فلم يتوانَ غنيم في إدخاله جامعة خاصة باهظة التكاليف، عظيمة المصاريف؛ ليدرس التجارة والإدارة؛ إذ كان على استعداد لدفع دم قلبه مادام في ذلك ما يسعد فاروقاً نجله الوحيد، كان ارتباط غنيم بولده ارتباطاً لا تحد منه حسابات وأرقام وتكاليف.

وذات مساء وبينما كان فاروق يعبر الطريق عائداً إلى المنزل إذا بسيارة مسرعة منطلقة كصاروخ هرب من جاذبية الأرض، تصطدم به، وتدفع به طائراً في سماء الإسكندرية حتى بدا كأنه عُقاب تعرض إلى عِقاب جراء ذنب لم يقترفه، وجريرة لم يرتكبها، وجناية لم يعرفها.

ما أنت أيها الموت؟ تختار البرئ وتترك الدنئ. تختطف الأبرار، وتنسى الأشرار، وليس من مجيب عن هذا السؤال.

الكارثة

جاء خبر مصرع فاروق نجل غنيم صادماً فاجعاً لأبيه وأمه، كأن قلبيهما قد تم انتزاعهما من مكانيهما، بماذا يجدي المال الآن؟ بعد انطفاء شمعة الأمل التي كانت تنير لهما الطريق، بعد انزواء بسمة الثغر التي كانت تزين وجه فاروقهما.

هل تستطيع أموال الدنيا أن تعيد الحياة إلى الميت لحظة واحدة؟ هل يمكن لدموع الندم أن تعيد للإنسان ما خسرته نفسه مقابل العالم الذي ربحه؟

آاه لو يعود الزمان إلى الأمس.. الأمس فقط.. ولكنه للأسف لن يعود.. أمس كان فاروق يضحك ملء شدقيه، والسعادة تشع من عينيه.

أمس كان الأمل يداعب حياته.

أمس كان مع رفاقه يتبادلون الأحلام والأفكار.

ولكن أين ذلك الأمس الجميل؟

أين وقد خيم الموت برائحته الكريهة النفاذة؛ ليأخذ معه دون شفقة شاباً مقبلاً على الحياة؟

أين وقد رحل دون ذنب جناه ؟

أين والذنب ذنب الأب الجشع الفاسد؟

لقد صار هو الآخر قتيلاً إذ بلغت آلام قلبه حداً رهيباً، وكأن أسوداً ضارية تنهش صدره بلا رحمة، وفيما هو يتلقى العزاء في السرادق إذا به يضع كفه على صدره، ويطلق صرخة مدوية، ويقع ميتاً وسط دهشة وفزع الناس كلهم.

كان الدم يغلي في عروق أحمد حداد إذ كان يشعر أن أحداثاً كثيرة تحاصره، ولا تدع له فرصة للتفكير بروية وهدوء. فالرسالة التي تركها جابر عثمان له، والتي أرسلها معه المستشار الإخواني عبد العظيم فتح الباب كادت أن تفقده صوابه، ليس فقط لأن جابراً كان يعرف سره طوال هذه المدة، ومع ذلك لم يفتح فاه، ولكن أيضاً لما تحتويه هذه الرسالة، إذ أخبره عبد العظيم من خلالها أن أمراً جللاً ستشهده دائرة أول المنتزة لدرجة أن العالم كله سيهتز، وأن دوره بوصفه المدير للنيابة المختصة سيكون دوراً فعالاً لتحقيق مصلحة التنظيم (أي تنظيم جماعة الإخوان المسلمين). ولم يوضح المستشار مزيداً من التفاصيل أكثر من ذلك مع وعد بأن رسائل أخرى قادمة ستحمل التفاصيل، ولم ينس تذكيره بإحراق الرسالة عقب قراءتها.

والآن ماذا يفعل؟ هل يتصل بالرائد حسام ويخبره بما جاء في الرسالة ويعطيه إياها؟ أم يتخلص منها وكأن شيئاً لم يكن، وكأن رسالة إليه لم تصل؟ هل يراقبه حسام؟ هل يعرف شيئاً عن جابر عثمان؟ وعن انتمائه لجماعة الإخوان المسلمين؟ ماذا لو

عرف حسام بأمر الرسالة بطريقة ما؟ ماذا سيكون رد فعله؟ أي عقاب سينزله به؟ هل يفقد منصبه الذي تمناه وحلم به كثيراً؟

ودون أن يشعر وجد نفسه يضع الرسالة في مفرمة الأوراق المجاورة لمكتبه، وما إن توارت الرسالة حتى شعر بالندم الشديد، ثم خطرت على باله فكرة شديدة الخطورة.. ماذا لو أن جابراً يعمل لحساب حسام، ولا علاقة له بعبد العظيم؟ وأن الموضوع برمته مجرد اختبار من أمن الدولة؟ عندما وصل بتفكيره لهذه النقطة تصبب العرق على جبينه، وفك رابطة العنق لشعوره بالاختناق، وفتح المفرمة في يأس لعله يستطيع تجميع الرسالة، رغم أنه يعلم جيداً عدم جدوى ذلك، وفكر أن يستدعي جابراً، ويعرف منه الحقيقة!، ولكن ما هذه الحماقة التي يفكر فيها؟ هل يفضح نفسه بنفسه؟ و...ولكن ما هذا الأمر الجلل الذي سيهتز له العالم؟ وبدأ الشك يساوره في جدية الرسالة، و...

قطع الهاتف برنينه استرسال أفكاره، فرفع السماعة، وقال في سأم : – السلام عليكم.. أهلاً شحاتة بك.

جاءه صوت شحاتة بك رئيس النيابة هادئاً كعادته، وهو يقول : – أهلاً أحمد بك.. شوفت اللي حصل للأستاذ غنيم رئيس القلم.. الله يرحمه، المسكين ما قدرش يستحمل خبر وفاة ابنه.

تنهد أحمد حداد، وقال : – حال الدنيا كدة.. الدوام لله، والله اللي بيموت بيستريح!

تجاهل شحاتة بك عبارته، وقال :- اسمع يا أحمد بك، أنا رشحت جابر عثمان يبقى رئيس قلم لنيابة أول المنتزة خلفاً للمرحوم غنيم، والقرار صدر وهيوصلكم في البوسطة بكرة الصبح.

شعر أحمد حداد بالذهول الشديد، وكأن الشيطان يتلاعب به، وقال متسائلاً :- وليه؟.. ليه جابر عثمان تحديداً؟

أجابه شحاتة :- لأنه أقدم موظف عندك، وراجل جدع وشايف شغله كويس!!!، وده أقل تقدير له، إنت عندك اعتراض؟

قال أحمد في خيبة أمل :- لا أبداً .. اللي تشوفه يا باشا، احنا كلنا تحت أمرك.

سأله شحاتة :- وأخبار الشغل إيه؟

أجابه أحمد :- كله تمام.

وانتهت المكالمة، وارتفعت دقات قلب أحمد حتى نافست قلوب عشرة رجال، وما إن أعاد سماعة الهاتف إلى موضعها حتى دخل جرجس الحجرة وفي يده ورقة بيضاء، وقال لأحمد:- صباح الخير يا بيه.

نظر أحمد للورقة، وقال في ضجر :- نعم؟ ..خير؟

حاول جرجس أن يبتسم لكنه فشل في الابتسام ولو كذباً، وقال وهو يرفع الورقة أمام أحمد:- ده طلب إجازة اعتيادية لمدة أسبوع.

صرخ أحمد حداد، وقال :- نعم.. إجازة؟..انت بتهرج؟.. امش برة!.. مش لما تشتغل عِدِل، وتظبّط شغلك.. تبقى تاخد إجازات؟!

قال جرجس، وهو يكظم الغيظ بصعوبة :- يا باشا..أنا عندي ظروف قهرية، ومحتاج أسبوع واحد بس.

قال أحمد في لهجة حاسمة :- ولا يوم واحد.. واسمع!..بكرة فيه مفتش قضائي هييجي النيابة، وهيفتش على شغل كل وكلاء النيابة وكل الموظفين، وهيبص في كل ورقة، وإن شاء الله يلاقي غلطة واحدة عندك إنت بالذات يا جرجس.. ساعتها وديني وما أعبد ما هارحمك.. أنت فاهم؟

قال جرجس في عصبية :- إذا كان فيه مفتش قضائي فعلاً هييجي بكرة.. ليه حضرتك وافقت على إجازات لبعض الموظفين والموظفات؟.. ولا هو المفتش جايلي أنا بس؟!

اتسعت عينا أحمد، وقال في عصبية :- طب اطلع برة دلوقتي.. بدل ما تشوف وش عمرك ما شفته.

وخرج جرجس فعلاً، وسأله بطرس الذي كان ينتظره بالخارج :- هاه عملت إيه؟

أجابه جرجس :- زي ما توقعت.. ما وافقش.. والمصيبة إن آخر ميعاد للتقديم في الكلية بعد أسبوعين.

تنهد بطرس، وربت على كتف صديقه وقال :- يا سيدي.. حتى لو مادخلتش كلية الحقوق السنة دي.. ادخلها السنة الجاية هي الدنيا طارت!!

أجابه جرجس :- الدنيا ما طارتش.. أنا اللي سني بيكبر، وفرصة الالتحاق بسلك القضاء بتقل كل ما السن يكبر.

ضحك بطرس، وقال متهكماً :- سلك القضاء؟!.. يا ابني احلم على قدك.

انفجر جرجس، وقال في غضب :- أحلم على قدي؟! هو أنا باقولك عايز أبقى رئيس جمهورية؟.. ولا اللي بيتعينوا وكلاء نيابة أحسن مني.

قال بطرس في استفزاز :- يمكن يكونوا أحسن منك!!

قال جرجس في حماس غاضب، وكأنه يترافع أمام قضاة :- لا مش أحسن مني، أنا معايا بكالوريوس زراعة وحيبقى معايا ليسانس حقوق من جامعة الإسكندرية، بالمنطق أنا أفضل من خريج كلية الشرطة، وأظن أنت فاهمني!

قال بطرس مبتسماً :- طب وطي صوتك.. ما تودياش في داهية.

ثم قال مستطرداً في صوت خفيض خشية أن يسمعه أحد :- أنا معاك إنك أحسن من خريج الشرطة، لكن سياسة النظام هي عسكرة القضاء المدني.. عشان كدة خريج الشرطة له الأولوية

في التعيين في المناصب القضائية عن خريج الحقوق، ويمكن ييجي اليوم اللي نبص نلاقي النائب العام نفسه خريج شرطة.
قال جرجس دون أن يخفض صوته :- معاك حق.. وده بيفرض علينا إننا نقاوم.. وحتى لو فشلنا.. يكفينا شرف المحاولة.
ثم تنهد، وقال مستطرداً في لهجة حزينة :- لو كان الأستاذ غنيم لسة عايش كان يمكن قدر يقنعه بالإجازة.
سأله بطرس :- صحيح ما عرفتش مين حيبقى رئيس القلم الجديد؟
مط جرجس شفتيه، وقال :- عِلمي عِلمك.
ضحك بطرس، وقال في سخرية :- يمكن واحد مننا.

تملك الغيظ من جرجس بعد رفض أحمد حداد طلب الإجازة الاعتيادية التي تقدم بها، وجلس على مقهى الإسعاف المواجه للمحكمة مع مجموعة من زملائه، وقال جابر عثمان:- بيقولوا فيه مفتش قضائي هييجي بكرة النيابة.
قال آخر:- آه.. ده مفتش صعب قوي.
سأله جابر:- مين ؟
أجابه :- سيادة المستشار صدَّام بك.
ارتفع حاجبا جابر، وقال :- صدام بك.. آه أنا عارفه.. ده ما بيرحمش والغلطة عنده تعادل كارثة.
ضحك بطرس، وقال :- واسمه صدام ؟!!

أجابه زميل ثالث :- صدام بك الشنقيطي.. افتكرته أنا اشتغلت معاه من ييجي عشرين سنة لما كان لسة وكيل نيابة.. الراجل ده ما بيهزرش.. ونص وكلاء النيابة والقضاة اللي طلعوا لعدم الصلاحية كان بسببه وعلى ايديه.

ازدرد جرجس لعابه، وتساءل في خوف وقلق :- طب والموظفين؟

أجابه نفس الزميل :- أقل حاجة بيحبسهم !! لو لقى غلطة في شغلهم.

قال جابر :- لا مش للدرجة دي.. هو ممكن يهزأ الموظف بس.. لكن ما يحبسوش.

قال جرجس في تهكم :- بيحبس دمه بس.

ثم قال أحد الزملاء :- سمعت إنك يا جابر حتبقى رئيس القلم الجديد بعد المرحوم غنيم؟

أجابه جابر في مكر وخبث :- لا يا راجل .. أنا مش عايزها.. ثم مين اللي قال لك؟

أجابه ذلك الزميل :- ناس حبايبي في النيابة الكلية.. قالولي.. والقرار حيوصل بكرة الصبح.

انتفخت أوداج جابر، وشعر بزهو، وقال محاولاً الإيحاء بعدم الاكتراث :- آهي الناس بتطلع إشاعات.

قال بطرس :- لا..لا اشاعات إيه؟.. ألف مبروك يا أستاذ جابر.

ثم انهالت التهاني على جابر رئيس القلم الجنائي الجديد لنيابة أول المنتزة، ثم قال جرجس :- بص يا أستاذ جابر .. احنا حبايب من زمان.. وأول طلب باطلبه منك انك تقنع أحمد حداد يديني أسبوع إجازة اعتيادي.

قال جابر :- انتو بتتكلموا كأن خلاص القرار طلع.

قال بطرس :- لو فعلاً القرار موجود في النيابة الكلية وحيوصل بكرة في البوسطة، ممكن نتأكد من الأستاذ حسان رئيس القلم الكلي، ومدام روحية سكرتيرة المحامي العام.

قال جابر :- يا جماعة ما تسبقوش الأحداث، ويا خبر بفلوس.. بكرة الصبح حيبقى ببلاش.. أهم حاجة إن تفتيش صدام بك الشنقيطي يعدي على خير، وما حدش مننا يتأذي.

تنهد جرجس، وقال :- معاك حق.. ده أنا وبطرس ماسكين شغل النيابة كله، وربنا يستر علينا.

نظر له جابر، وقال :- أوعدك يا جرجس حخليه يغير توزيع العمل. لو فعلاً بقيت أنا رئيس القلم.

وقف موظفو النيابة على سيقان مرتعشة، وتصبب العرق غزيراً من كل نقطة في أبدانهم، وصمتوا صمتاً يضاهي صمت القبور، وكأن على رؤوسهم الطير، وهم يراقبون دخول صدام بك الشنقيطي من باب الطرقة المؤدية لنيابة أول المنتزة الجزئية، كانوا متوجسين مرعوبين، استولى القلق على أفئدتهم وعقولهم،

ولا عجب من حالتهم هذه بعد ما سمعوه عن هذا الرجل من سيرة تزلزل كيان أشد الرجال، وتجعل من الأسد الهصور مجرد فأر مذعور، فهو الذي خرج بسببه عدد هائل من رجال القضاء من الخدمة بسبب عدم الصلاحية، وهو الذي تسبب بمذكراته في حبس عدد لا يستهان به من الموظفين والموظفات لأقل الهفوات....

وقد يكون فيما سبق كثير من المبالغة والتهويل.. خاصة أن البعض راح يكذّب هذا الكلام معتبراً إياه محض شائعات.. صحيح أن الشنقيطي بك رجل صارم، ولا يتهاون أمام الأخطاء، وصحيح أنه يجعل من الحبة قبة كما يقولون.. لكن ليس إلى هذا الحد الذي لو صدق لشاب له رأس الوليد الذي لم يبلغ سن الفطام..

كانت هذه هي المرة الأولى التي يشاهده فيها جرجس وبطرس منذ أن عُينا في النيابة العامة، وكانت حالتهما يرثى لها خصوصاً جرجس الذي عرف عنه الخوف والفزع والحساسية المفرطة.

ولما دخل صدام بك الشنقيطي فوجئ جرجس بشكله إذ كان الأخير يعتقد أن صدام هذا رجل مارد عملاق ذو شارب كث أسود، فإذا به رجل قصير القامة، نحيف البنية، كثيف الشعر، له شارب خفيف، تميل بشرته إلى السمرة تشي بأصوله الصعيدية،

يرتدي حُلة رثة متواضعة لا تتناسب مع جلال منصبه، تميل إلى الاتساع وكأنها حلة شقيقه الأكبر!!

وكان في استقباله مدير النيابة أحمد حداد ولفيف من وكلاء النيابة الذين كان خوفهم ورعبهم لا يقل عن نظيره في قلوب الموظفين، ولما دخل غرفة مدير النيابة احتل مقعده، وجلس أحمد حداد إلى جواره كما يجلس التلميذ عند قدمي معلمه، وقال صدام في صوت أجش كصوت خرج من أعماق الجبال :- أخبار نيابتك إيه يا أحمد بيه ؟

كتم بعض وكلاء النيابة الذين كانوا في الغرفة ضحكات ماكرة كادت أن تفلت، وهم يرون أحمد حداد مرتبكاً متلعثماً يود لو انشقت الأرض وابتلعته، وهو يرد في صوت واهن متردد :- الحمد لله كله تمام!!

ابتسم الشنقيطي ابتسامة خبيثة، وقال :- لما نشوف.

وبدأ التفتيش، وذلك بأن طلب صدام الاطلاع على دفاتر النيابة، وعلى رأسها طبعاً جدول الجنح المتولي أمره جرجس، وظل صدام يقلب في الدفتر ورقة ورقة، وجرجس واقف أمامه خائفاً مذعوراً متوتراً، وقال صدام لجرجس في حدة :-

- انت اللي اسمك جرجس ؟

هز جرجس رأسه بما يفيد الإيجاب دون أن ينطق، وكأن شللاً أصاب لسانه في هذه اللحظة، وتابع صدام في قسوة :- شغلك

زي الزفت!! فيه قضايا كتير مش مكتوبة وأحكام مش مكتوبة، القضايا والأحكام دي فين يا أستاذ؟

اضطرب جرجس، وتصبب العرق غزيراً رغم برودة الطقس، وقال: -كل حاجة موجودة، وهتتكتب بس ادِيني فرصة أسبوع ! ازدادت حدة صدام، وقال : - نعم؟ أسبوع؟ .. أسبوع يعني إيه؟ القضايا دي كلها تيجي دلوقتي هنا قدامي، وتقعد تكتبها كلها!!! قال جرجس في يأس :- حاضر حاضر.

وخرج جرجس لا يدري ماذا يفعل، ولا ما الذي جناه ليعاقبه الله كل هذا العقاب، إلى متى تستمر أحواله هكذا؟ لا أحد يشعر به، مدير النيابة يعذبه ويتلذذ بذلك، وكلاء النيابة سلبيون لا يكترثون بهموم أي موظف مادام عملهم يجري بنظام، ولم لا وقد صارت الأنانية الطابع الغالب لدى الجميع فلا أحد يشعر بمعاناة أحد، حتى أمه لا تشعر ولا تفهم ما يعتمل في صدره وليس بيدها شيء تقدمه له، كل ما تعرفه أن ابنها قد حصل بعد عناء على وظيفة محترمة، وإذا علمت برغبته في ترك العمل فربما تموت كمداً، ولا يمكن أن يسبب لها الأحزان..

وبعد ساعتين دخل مرة أخرى إلى حجرة المدير التي يجلس فيها صدام، ولحسن الحظ كان يجلس وحيداً يقلب في دفاتر وقضايا النيابة، إذ لم يكن معه أحد في الغرفة في هذه اللحظة، فقال جرجس :- صدام بك...

نظر له صدام، وقال :- نعم..

جلس جرجس بجواره، وقال :- تسمح لي بكلمة من فضلك ؟
التفت له صدام وقال :- اتفضل.
تنهد جرجس، وقال :- أنا عارف إن معاليك ما بتظلمش حد.. وإنك متعود دائماً تنصف المظلوم.. خصوصاً المظلوم الضعيف اللي زيي.
قال الجزء الأخير من عبارته في صوت متهدج، وقد أوشك على البكاء، الأمر الذي جعل لهجة صدام تتبدل، وقال في تأثر :- فيه إيه يا بني؟ اتكلم ما تخافش من حد أبداً.
قال جرجس :- تصور يا باشا، إن مدير النيابة أسند لي أنا وبطرس شغل النيابة كله.
ثم شرح لصدام ما كان من أحمد حداد، وما لقاه من تعسف وظلم لا مبرر لهما
فقال صدام في دهشة واستنكار : - معقول؟!
تابع جرجس، وقد شعر بتبدل موقف صدام لصالحه: - إزاي بقى حضرتك دلوقتي بتطالبني بأن اشتغل بكفاءة، وأرتب وأنظم الدنيا دي كلها لوحدي؟! ما يقدر على القدرة إلا ربنا يا فندم.
هز صدام رأسه بما يفيد الموافقة والتأييد، وقال :- فعلاً معاك حق يا بني .. لا تكليف بمستحيل. إزاي موظف واحد، وحديث التعيين، ويمسك الشغل ده كله لوحده؟.
ثم نظر لجرجس، وقال :- أنا هاكلم أحمد حداد يخفف الشغل من عليك.. ما تقلقش.

شعر جرجس بامتنان حقيقي تجاه صدام بك الشنقيطي، وأدرك كم هو رجل عادل ومستقيم، وفي هذه اللحظة دخل أحمد حداد فقال له صدام في لهجة شديدة :- إزاي يا أحمد بك ما يبقاش فيه عدالة في توزيع العمل داخل النيابة؟!

وقف أحمد حداد في هذه اللحظة كما يقف الطفل أمام أمه مذعوراً بعد أن يبول على سرواله، وقال :- ما هو أصل...

قاطعه صدام :- هات لي دفتر توزيع العمل على السادة الموظفين دلوقتي حالاً يا أحمد بك..

خرج أحمد بك غاضباً من الحجرة لتنفيذ ما طلبه صدام بك الشنقيطي، وقد قرر أن يصب جام غضبه على جرجس بعد مغادرة المفتش الشنقيطي.

مرَّ على هذه الواقعة أسبوعان كاملان، وقد تغير توزيع العمل بالفعل بفضل تدخل الشنقيطي حيث عاد جرجس وبطرس إلى أعمال التحقيقات فقط، وقد تفرغا لذلك تماماً، وتعاونا مع باقي الموظفين في كتابة ما تأخرت كتابته في جدول الجنح وغيره من الدفاتر حتى أصبح العمل منضبطاً، وزال ما كان موجوداً من إهمال غير مقصود.

ولم يكتف المفتش صدام بك الشنقيطي بهذا الفضل، بل أعطى رقم هاتفه الخاص لجرجس، وشدد عليه ألا يتردد في مهاتفته في أي وقت إذا ما تعرض لأي ظلم أو عسف.

وفي صباح أحد الأيام دخل جرجس إلى غرفة جابر عثمان رئيس القلم الجديد، وقال له في سعادة :- الحمد لله يا أستاذ جابر .. الدنيا رجعت زي الأول وأحسن..

قال جابر، بعد أن نفث دخان سيجارته ذات الرائحة النفاذة :- عشان تعرف إن معاك رجَّالة، لولايا أنا ما كانش حد عرف يعمل لك حاجة!!

نظر له جرجس في سخرية، وقال :- آه طبعاً.. طبعاً.

ثم قال له جابر في زهو :- ولازم تعرف الفرق بيني وبين المرحوم غنيم، النهاردة يوم جمعة، ومع ذلك نزلت نباطشية معاك زيي زي أى موظف.

أجابه جرجس ضاحكاً :- آه فعلاً، بس اسمح لي بالليل هامشي بدري عشان النهاردة ٣١ ديسمبر يعني ليلة رأس السنة، وطبعاً هاروح الكنيسة أصلي.

قال جابر في تبرم :- كل سنة وأنت طيب.

ثم سأله جرجس :- بس إنت يا أستاذ جابر .. ما عملتليش حاجة في موضوع الإجازة الاعتيادي.

فتح جابر فاه، وكاد أن يتكلم إلا أن جرجس سبقه وقال:- على كل حال ما عادش فيه لزوم للإجازة، السبب اللي كنت عايز عشانه الإجازة ما عادش موجود.

قالها بأسى وحزن شديد بعد فوات ميعاد التقديم في كلية الحقوق، واضطراره لتأجيل تنفيذ الفكرة للعام المقبل.

في الثانية عشر صباحاً ومع الدقائق الأولى للعام الجديد خرج جرجس من باب الكنيسة عائداً لمنزله بصحبة والدته، وارتفع جرس هاتفه المحمول، وإذا بمحمود بك على الخط يقول له في لهفة ممزوجة بارتياع :- إنت فين يا جرجس؟
أجابه :- أنا لسة طالع دلوقتي من الكنيسة.
سأله محمود في فزع :- أنهي كنيسة؟
أجابه في دهشة :- كنيسة مارمينا المندرة.
تنفس محمود بك الصعداء، وقال :- الحمد لله.. كنت باحسبك رحت كنيسة القديسين!!
ازدادت دهشة جرجس، وسأله:- مالها كنيسة القديسين؟
أجابه محمود: - فيها حادثة إرهابية مروعة.. انفجار شديد حصل من دقائق على بوابة كنيسة القديسين، وفيه ضحايا كتير، ومصابين أكتر، والدنيا مقلوبة، تعالَ النيابة دلوقتي .
أغلق جرجس هاتفه، وترك أمه وانطلق مشيراً لأقرب تاكسي، وطلب منه توصيله للمنشية حيث النيابة بأي ثمن، قائلاً :- يادي المصيبة.. يادي المصيبة.

مكان بارد موحش كئيب مظلم إلا من إضاءة خفيفة ضعيفة لا تفعل شيئاً إلا إضافة مزيد من الكآبة، كان هذا هو حال مشرحة كوم الدكة بالإسكندرية المواجهة لاستاد الإسكندرية الشهير الكائن بمحطة مصر، مكان يكتظ بجثث القتلى مسجاة

على ظهورها، والتي تحول بعضها إلى أشلاء وبقايا أقدام وأيادٍ ورؤوس وأمخاخ ...

يختلط النحيب بالصراخ بالأنين... بعد أن استحالت فرحة الناس بالعام الميلادي الجديد إلى غضب شديد، وارتفعت حدة كراهية الشعب لنظام مبارك الذي لم يكتفِ بتزوير الانتخابات البرلمانية الأخيرة، وإنما ترك المصريين يعيشون غرقى في مستنقع الفقر والجهل والمرض والإرهاب والفساد، ومن يدري لعل الداخلية المباركية تكون ضالعة في حادث القديسين لسبب ما..

تباينت أعمار الشهداء من كبار إلى شباب وأطفال. وأمهات يقفن مصدومات من هول ما يشاهدن ويسمعن، هذه تصرخ، وأخرى تنتحب ولا تريد أن يعزيها أحد لأن أولادها ليسوا بموجودين.

فهذا شاب فقد حياته دون ذنب جناه، وهذا طفل تكاد جثته تصرخ وتقول:- أمي لماذا تتعمدين تركي وحيداً هنا في هذا المكان؟..

وأمام كل جثة كان يقف وكيل نيابة بصحبة كاتبه لتسطير محضر المناظرة، وقال محمود بك لجرجس في حدة:- امسك نفسك يا بني آدم.. انت هتعيط هنا كمان؟؟ ما يصحش كدة.

قاوم جرجس انفجار مقلتيه، وقال :- غصب عني.. غصب عني.

كثيراً ما جاء جرجس إلى هذه المشرحة بصحبة محمود بك وغيره من أعضاء النيابة الموقرين، لتحقيق العديد من قضايا القتل والانتحار، وفي كل مرة يكون جرجس رابط الجأش، لا يهتم بالقتيل ولو كان طفلاً، والأمر في كل مرة لا يعدو أن يكون مجرد حالة ورقم جديد يضاف لأرقام القضايا والتحقيقات، فهذه مقتضيات وظيفته التي اعتاد عليها، أما اليوم فالألم أعظم من أن يحتمل، والكارثة تشكل طعناً غادراً في ظهر مصر، فهي ليست مجرد قضية جنائية جديدة إنها مصيبة جديدة تضاف لسجل مصائب نظام فاسد غبي دموي.

سأله محمود بك :- وفين بطرس؟ ما جاش ليه؟ احنا استدعينا كل سكرتارية التحقيق.

أجابه جرجس:- ماعرفش فين.. وكمان تليفونه مقفول.

لم يكمل عبارته حتى انفتح باب المشرحة لاستقبال جثة جديدة لشاب في عمر الزهور، وما إن انكشف الغطاء البلاستيكي برتقالي اللون عن وجهه حتى صرخ جرجس، وامتقع وجه محمود، وألجمت المفاجأة القاسية لسانه.

اهتزت الدنيا، وارتج العالم، وملأت الصرخات أرجاء الكوكب من هول ما حدث، أغرقت الدماء واجهة مبنى كنيسة القديسين، وتناثرت الأشلاء في كل مكان، والتصق بعضها على واجهة المبنى، والنيران لا زالت متأججة، وحطام سيارات هنا

وهناك، والناس في ذهول من أمرهم، البعض يجري بلا هدى، والبعض يساعد في نقل المصابين إلى سيارات الإسعاف، والبعض يساهم بجهود بدائية في إطفاء النيران لإنقاذ الكنيسة، ومنع وصول النار إلى المسجد المقابل...

والبعض يهتف ضد مبارك والإرهاب.. لا يكترثون لوقوف ضباط الشرطة بالقرب منهم، والضباط من ناحيتهم لا يعترضون على تلك الهتافات وكأنهم يؤيدونها، أو لعلهم قرروا دون اتفاق ترك الناس تعبر عن غضبها حتى لا يموتوا كمداً...

في هذه اللحظة وصل إلى المكان مدير نيابة أول المنتزة أحمد حداد بصحبة كاتبه حسني لإجراء المعاينة (الغريب أن يستجيب حسني لنداء العمل في هذه الساعة المتأخرة، وكأن أباه لم يمت من ساعتين كالعادة)، ونزلا من سيارة الأول، واتجها إلى بوابة الكنيسة.

وتزامن وصول أحمد حداد مع وصول الرائد حسام من أمن الدولة، والتقت عيونهما دون أن يتبادلا أي حديث.

مرت الأيام والسنون بعد ذلك، واندلعت ثورة يناير العظيمة، وما ترتب عليها من أحداث نعرفها، وحُكِم على فايز ميشيل بالسجن المشدد لمدة خمسة عشر عاماً، وانهارت مادلين واختفت، ولم يعد يراها أحد.

استطاعت شريفة تحقيق حلمها بالالتحاق بكلية الحقوق قسم التعليم المفتوح بجامعة الإسكندرية، والمدهش أنها تزوجت صاحب المكتب الذي تعمل به وهو الأستاذ عبد الرحيم سلام، رغم أنه يكبرها بثلاثين عاماً على الأقل، وله من الأولاد ثلاثة من زواج سابق، وأصبحت هي مديرة المكتب أو لنقل دون أدنى مبالغة أنها صارت صاحبة المكتب..

أصبح عوف مالكاً لسلسة مطاعم ومقاهٍ شهيرة بالإسكندرية، وترك المحكمة نهائياً، وانتقل إلى خانة رجال الأعمال، كما أصبح حمدي مدير أعماله وذراعه اليمنى...

ترقى محمود بك في سلك القضاء، وأصبح الآن قاضياً مرموقاً كبيراً يشار له بالبنان، أما عمه المستشار حبيب بك شوقي فقد كرمه الله، وعوض صبره خيراً بأن أصبح وزير الدولة لشؤون البيئة في إحدى حكومات ما بعد ٣٠ يونيو.

ألقي القبض على جابر عثمان متلبساً بتلقي رشوة من الأستاذ فكري المحامي، الذي استفاد من كونه راشياً فخرج من دائرة الاتهام بعد اعترافه، إلا أن فرحته لم تدم كثيراً بعد توصل التحريات إلى ضلوعه في جناية إحراق مبنى محكمة الحقانية، فقُبِضَ عليه هو وعاصم بك عضو مجلس إدارة شركة الإسكندرية الجديدة، ولازالت محكمة الجنايات تنظر في قضيتهما حتى الآن.

التحق خلف ماسح الأحذية بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية، ورغم حصوله على إجازة الحقوق بدرجة جيد جداً إلا أنه لم يقبل في سلك القضاء العادي وكذا القضاء الإداري رغم اندلاع ثورتي يناير ويونيو، كما لم يعين معيداً في الجامعة لتفضيل ابن العميد عليه كالعادة، ومع ذلك لم ييأس حيث انضم لنقابة المحامين العريقة ليصبح فارساً من فرسانها.

أما أحمد حداد فقد خرج من سلك القضاء لعدم الصلاحية، وقدم للمحاكمة بتهمة الارتشاء، وما زالت قضيته متداولة في المحاكم.

والغريب أن كل من كان يعتقد أنهم قد يقفون بجواره قد تركوه عارياً، أين عبد العظيم بك فتح الباب؟ (والذي تبوأ منصباً مهماً في وزارة العدل عقب تولي الرئيس محمد مرسي الحكم، والغريب أنه لم يترك هذا المنصب بعد زوال حكم الإخوان)، وأين الرائد حسام؟ الكل باعوه ونسوه وتركوه لمصيره المحتوم...

تجاوز جرجس الأربعين من العمر، ولم يتزوج، ولم يترك وظيفته إذ لم يتسنَ له دخول كلية الحقوق كما كان يتمنى، ومرت أيام حياته في رتابة تبعث على الملل، وقابل العديد من البشر من أنماط مختلفة وصفات متباينة، وازدادت خبراته طردياً مع زيادة أحزانه..

صار وحيداً بعد وفاة أمه، يقف منفردًا بلا أنيس في شرفة منزله بالمندرة يتذكر أمه المتوفاة فيبكي...وبعد هذه السنوات أدرك الآن تماماً الأسباب التي جعلت المحكمة قطعة من جهنم.

[النهاية]

تعريف بالكاتب

صموئيل امين ولد في الاسكندرية في العام ١٩٨٣ حصل على بكالوريوس التجارة شعبة محاسبة في العام ٢٠٠٣ عين موظفا بالنيابة العامة في العام ٢٠٠٧ التحق بكلية الحقوق في العام ٢٠٠٨ منتسبا، وحصل على ليسانس الحقوق في العام ٢٠١٢ حصل على درجة الماجستير في الحقوق في العام ٢٠١٥

الإسكندرية ج . م . ع

(+٢) ٠١٠١٨٨٣١٣٦١

(+٢) ٠١٠٢٢٨٤٢٨٩٨

حسناء للنشر والتوزيع